

البيان والميزان : نظرية قرآنية
في إعادة تكوين الإنسان



الدُّكْتُورُ ابْنُ عَبَّاسِ الْعَامِلِيّ

سلسلة موازين البيان

البيان والميزان: نظرية قرآنية في إعادة تكوين الإنسان

نقلاً أنموذجية من «القراءة الخطابية» إلى
«القراءة التكوينية الإدراكية»

الدكتور ابن عباس العاملي

تنويه: حدود الفهم وإمكانات التأويل

هذا الكتاب، بما يعرضه من تحليلٍ وتأملٍ في المقاصد القرآنيّة وبناء الاجتماع، ليس إلاّ اجتهادًا بشريًّا يسعى إلى استقرار النصّ واستجلاء بنيته الحاكمة في سياق الواقع المعاصر. وكلُّ فهمٍ يُطرح فيه - في شأن القرآن أو في تحديد مقاصده العليا - إنّما يعبر عن سعيٍّ صادقٍ للاقتراب من الحقّ، بقدر ما تُتيحهُ أدوات العقل وحدود المعرفة.

ولا يدّعي هذا العملُ أنّه الفهم النهائيُّ أو المطلقُ لمراد الله تعالى ومراد رسوله (ص)؛ فاللهُ ورسوله أعلمُ بمراد كلامه، وأحكمُ في بيان مقاصده. وإنّما هو محاولةٌ للانتظام في ميزان البيان، والاقتراب من الغاية التي يشير إليها النصّ، دون ادّعاء عصمة أو إلزام للآخرين برأيٍ مخصوص.

تقتضي طبيعة الفكر البشريّ البحث والمراجعة وإعادة النظر، وتظلّ معرفة الإنسان محدودةً بحدود الزمان والمكان والقدرة العقلية. ومن هنا ينبغي أن يُنظر إلى كلّ تحليلٍ أو تأويلٍ في هذا الكتاب على أنّه جهدٌ مقاصديٌّ مفتوحٌ للنقد والتقويم، لا موقفٌ قطعيٌّ مغلق. قال تعالى:

﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥)،

نظريّة البيان كقوّة تكوينيّة شاملة - إعادة تنظيم البنية الإنسانيّة

ونستحضر في مسيرتنا العلميّة قوله سبحانه:

﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤).



﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾

(طه: 25-27)

﴿إِن أُريدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ^ج
وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ^ج
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

(هود: 88)

حقوق الطبع والنشر محفوظة © 2026

جميع حقوق الطبع محفوظة. لا يجوز إعادة طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه أو نقله بأي شكل من الأشكال أو بأي وسيلة كانت، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك، دون إذن خطي مسبق من المؤلف أو الناشر، باستثناء حالات الاقتباس القصير لأغراض البحث أو النقد وفقاً لقوانين حقوق الطبع والنشر المعمول بها.

للتواصل مع المؤلف: IbnAbbasAlamili@gmail.com

نسخة محدودة قبل النشر

ليست أزمة الإنسان المعاصر نقص معلومات، بل اختلال ميزان. فالمعرفة تتكاثر، غير أنّ الداخل يضطرب، والقرار يتشوش، والهوية تنشط. في هذا الكتاب تُقدّم أطروحة تأسيسية جريئة تقرّر أنّ البيان القرآنيّ ليس خطاباً يفهم فحسب، بل قوة تكوينيّة تُعيد ترتيب الإدراك، وتهدّب الانفعال، وتوجّه الدافعية، وترشد القرار، حتّى تتشكّل الصبغة وتستقيم الهوية على ميزان الحق.

ليس «البيان والميزان» بحثًا في البلاغة، بل مدخلٌ إلى نظريّة قرآنيّة متكاملة في إعادة تكوين الإنسان، تنقلُ القارئَ من تحليل النصّ إلى إدراك أثره، ومن قراءة المعنى إلى اختبار تحوّلِهِ في البنية الداخليّة. إنّهُ دعوةٌ لإقامة الميزان في النفس، لأنّ استقامة العمران تبدأ من هناك.

قائمة المحتويات

7	قائمة المحتويات
9	الإهداء الأول
11	الإهداء الثاني
13	كلمة المؤلف
16	تمهيد منهجي
20	مقدمة تأسيسية شاملة
24	نظريّة البيان كقوّة تكوينيّة في القرآن
34	المبحث الأول: التّأصيلُ القرآنيّ لمفهوم البيان كقوّة تكوينيّة
41	المبحث الثاني: البيانُ وإعادةُ تنظيم الإدراك
49	المبحث الثالث: البيانُ وتنظيم الانفعال
56	المبحث الرابع: البيانُ وإعادةُ توجيه الدّافعيّة
63	المبحث الخامس: البيانُ وصناعة القرار
69	المبحث السادس: البيانُ وصناعة العادة

- 75 المبحث السابع: البيان وبناء الهوية
- 83 المبحث الثامن: النموذج الكلي لنظريّة البيان كقوّة تكوينيّة
- 91 المبحث التاسع: التطبيقات الحصارية لنظريّة البيان كقوّة تكوينيّة
- المبحث الختامي التأسيسي:
- 98 نظريّة البيان كقوّة تكوينيّة شاملة
- 107 خاتمة تأسيسية وجسر نحو العلوم الأخرى

الإهداء الأوّل

إلى روحي والديّ الطاهرتين،

أسأل الله أن يتقبل هذا العمل ويجعله صدقة جارية في ميزان حسناتكما، وأن يرفع درجتكما في جنات النعيم.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾
(إبراهيم: 41)

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا﴾
كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿(الإسراء: 24)

رب اغفر لي ولوالدي، وارحمهما كما ربّاني صغيراً، واجزهما بالإحسان إحساناً، وبالسيئات عفواً وغفراناً.

رحمكم الله بواسع رحمته وأسكنكم الفردوس الأعلى.

ابنكما الذي لن ينسى فضلكما،

نظريّة البيانِ كقوّةٍ تكويّنيّةٍ شاملةٍ – إعادة تنظيم البنية الإنسانية

المؤلف

الإهداء الثاني

إلى زوجتي الحبيبة، وعشقي الأبدي السرمدي، ورفيقة دربي منذ
ثلاثة وأربعين عامًا، وأمّ أولادي السبعة، وصديقتي وخليفتي ومُلهمتي.
إليك أُهدي هذا العمل.

فأنتِ، قبل أن تكوني أستاذةً جامعيّة، كنتِ المربيّة الأولى في بيتنا.
رَبَّيتِ أبناءنا السبعة، وعَلَّمْتَهُم في المدرسة البيتيّة، فكان تفوّقُهم -
بفضلِ الله - في الدين والأخلاق والتربية والعلم ثمرة إيثارك وجهادك وصبرك
وإخلاصك.

ثم انطلقتِ بعد ذلك إلى ميدان الجامعة برسالة نبيلة، تفتحين للجيل
الجديد آفاق الحياة، وترشدينهم إلى طريق العلم والحكمة.

كنتِ نعمَ الحبيبة، ونعمَ الزوجة، ونعمَ الأم، ونعمَ المعلّمة.
جعلك الله لنا ذخراً في الدنيا والآخرة، وأدام عليك عطائك وبركتك،
وآتاك خير الدنيا والآخرة والجنة والرضوان.

نظريّة البيانِ كقوّةٍ تكوينيّةٍ شاملةٍ – إعادة تنظيم البنية الإنسانية

المخلص لك أبداً،

المؤلف

كلمة المؤلف

حينَ بدأتُ التأملَ في مفهوم «البيان» في القرآن الكريم، لم أكنُ أبحثُ عن مصطلحٍ بلاغيٍّ جديدٍ، ولا عن قراءةٍ دلاليّةٍ مغايرةٍ لبعض الآيات، بل كنتُ أسعى إلى الإجابة عن سؤالٍ أعمق:

ما الذي يفعله القرآن في الإنسان؟

هل يزوّده بالمعلومات، أم يُعيدُ تشكيله من الداخل؟

هل هو نصٌّ يفهمُ فحسب، أم قوّة تعملُ في البنية الإدراكيّة

والوجدانيّة والسلوكيّة فتُقيمُ فيها ميزاناً جديداً؟

وقد تكشفَ لي - عبرَ مسارٍ من التأملِ الطويل والمراجعة المتكرّرة -

أنّ البيانَ في القرآن ليس مجرد أداة إفهامٍ، ولا وسيلة تعبيرٍ، بل هو فعلٌ تكوينيٌّ يُعيدُ ترتيبَ الإنسان في ضوء الحقِّ. فليس البيانُ خطاباً موجّهاً إلى عقلٍ ساكنٍ، بل قوّة تحرّك الإدراك، وتُهدّبُ الانفعال، وتُعيدُ تعريفَ الغاية، وتُقيمُ القرارَ على بينة، ثم تُرسّخُ السلوكَ حتى تتشكّل الهوية على ميزانٍ موزونٍ.

من هنا جاءَ هذا البحثُ لا بوصفه مجردَ دراسةٍ موضوعيّةٍ لمفهومٍ

قرآنّي، بل بوصفه محاولةً لإعادة قراءة العلاقة بين النصّ والإنسان، وبين اللسان العربيّ المبين وبنية الإدراك، وبين موازين البيان وبناء العمران. إنّه جهدٌ يروم أن يُعيد مركزَ الثقل من ظاهرِ العبارة إلى عمقِ التكوين، ومن تحليلِ الدلالة إلى كشفِ أثرِ البيان في صناعة الإنسان.

وأنا أقدمُ هذا العملَ، لا أزعمُ أنّي بلغت فيه غايةً نهائيّةً، ولا أنّي أخطئُ بمفهومِ البيان إحاطةً كاملةً؛ فكلُّ جهدٍ بشريٍّ يظلُّ محدودًا بحدودِ الفهمِ والزمانِ والسياق. غيرَ أنّي أرجو أن يكونَ هذا البحثُ خطوةً في مسارٍ أوسع، ومسهماً في فتحِ أفقٍ جديدٍ في الفكرِ الإسلاميّ، يُخرجنا من ضيقِ القراءاتِ التجزيئية إلى رحابةِ الرؤيةِ الكليةِ التي ترى في البيانِ قوّةً لإعادة تشكيلِ الإنسان والعلم والمجتمع.

ليس اللسانُ العربيّ المبين وعاءً لغويّاً فحسب، بل جهازاً إدراكياً يُقيمُ العلاقاتِ بين المعاني ويضبطُها، وإنّ موازينَ البيانِ ليست مجردَ معاييرٍ أخلاقيّةٍ أو بلاغيّةٍ، بل أطرٌ تنظّمُ الحكمَ والتمييزَ والاختيارَ. وإذا استعادَ الفكرُ الإسلاميُّ وعيَه بهذه الحقيقة، أمكنه أن يُجدّدَ علومه، وأن يُعيدَ بناءَ مناهجه، وأن ينطلقَ إلى آفاقِ حضاريّةٍ أرحب.

أسألُ الله تعالى أن يجعلَ هذا العملَ خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعَ به من يقرؤه أو يتأمّله، وأن يكونَ لبنَةً في مشروعٍ علميٍّ أوسعٍ يرومُ إقامةَ الميزانِ

نظريّة البيانِ كقوّة تكويّنيّةٍ شاملةٍ - إعادة تنظيم البنية الإنسانية

في الفهم والعمل وال عمران. وما كان فيه من صوابٍ فمن فضل الله وتوفيقه، وما كان فيه من خطأ أو قصورٍ فمن نفسي، وأستغفر الله منه وأرجو تصويبه بنقد أهل العلم والاختصاص.

والله وليّ التوفيق، وعليه التوكّل وإليه المصير.

تمهيدٌ منهجيٌّ

تشخيصُ الأزمةِ المعرفيّةِ وأفقُ التجاوزِ

يعيشُ الفكرُ الإسلاميُّ المعاصرُ حالةً من التراكمِ الكميِّ يقابلُها اضطرابٌ نوعيٌّ في الرؤيةِ المنهجيةِ. فالمكتبةُ عامرةٌ بالتفسيرِ والشروحِ والدراساتِ اللغويّةِ والفقهيةِ، غيرَ أنَّ سؤالاً عميقاً يظلُّ قائماً:

لماذا لم يتحوّلْ هذا الحضورُ الكثيفُ للقرآنِ في الخطابِ إلى تحوّلٍ بنيويٍّ دائمٍ في تكوينِ الإنسانِ والفكرِ وال عمرانِ؟

ولماذا بقيَ البيانُ - على كثافةِ تلاوتهِ وتكراره - عاجزاً عن إحداثِ نقلةٍ إدراكيةٍ مستقرّةٍ في بنيةِ الوعيِ الجمعيِّ؟

يقودُنَا تشخيصُ هذهِ المفارقةِ إلى ما يمكنُ تسميتهُ «عنقُ الزجاجةِ المعرفيِّ»: انحصارُ النظرِ إلى البيانِ في كونهِ خطاباً يُحلَّلُ دلاليّاً أو يُستثمرُ فقهياً أو يُستعملُ وعظيًّا، دونَ أن يُقرأ بوصفه قوةً تكوينيّةً تعملُ في عمقِ البنيةِ الإنسانيةِ.

لقد استقرّت في الوعي العلميّ ثلاثُ مقارباتٍ غالبيةٍ:

1. مقارنةً لغويّةً تُعنى بتحرير المعاني والألفاظ،
2. ومقاربةً أصوليّةً تُعنى باستنباط الأحكام،
3. ومقاربةً أخلاقيّةً تُعنى بتزكية السلوك.

وكُلّها مهمّةٌ في مجالها، غير أنّها تشترك - غالباً - في إغفال السؤال النبويّ:

ماذا يفعلُ البيانُ في تكوينِ الإنسانِ نفسه؟

بهذا الإغفالِ انحصَرَ التفسيرُ في مستوى الدلالة، وانفصلَ الحكمُ عن دراسة أثره التكوينيّ في المكلف، وتحوّل الخطابُ الأخلاقيّ إلى دعوةٍ سلوكيّةٍ لا يُستكشفُ نظامُها الإدراكيّ الداخلي. ونتيجة ذلك أنّ الوحيّ قُرئ «مضموناً معرفيّاً» يُضافُ إلى الذهن، لا «قوّة إعادة تشكيل» تُعيدُ ضبطَ ميزانِ الإدراكِ والانفعالِ والدافعيّةِ والقرارِ والعادةِ والهويّة.

ينطلقُ هذا البحثُ من فرضيّةٍ منهجيّةٍ مضادّةٍ لهذا الاختزال، مفادها أنّ البيانَ في القرآن ليس وظيفةً تعبيريّةً فحسب، بل هو آليّة تكوينيّة تعملُ في البنية الإنسانية ذاتها. فكما أنّ الخلقَ فعلُ إلهيّ يُنشئُ الوجودَ، فإنّ البيانَ فعلُ إلهيّ يُنشئُ ميزانَ الإدراكِ في الإنسان، ويُعيدُ ترتيبَ علاقتهِ بالحقِّ والعدلِ

والمال. ومن ثمّ، فإنّ دراسة البيان لا ينبغي أن تُحصَرَ في تحليل الأسلوب أو بيان الإعجاز أو استنباط الحكم، بل يجب أن تتّجه إلى تحليل وظيفته في إعادة تشكيل الإنسان.

بهذا المعنى، يسعى هذا التمهيد إلى تهيئة القارئ لنقطة أنموذجيّة من «القراءة الخطائيّة» إلى «القراءة التكوينيّة الإدراكيّة». فالقراءة الخطائيّة تنظر إلى النصّ بوصفه موجّهًا إلى ذهنٍ متلقٍّ، أمّا القراءة التكوينيّة فتتّظر إليه بوصفه فاعلاً في تشكيل هذا الذهن ذاته.

الأولى تسأل: ماذا يعني النصّ؟

والثانية تسأل: ماذا يُعيد النصّ بناءً في الإنسان؟

ولا يقف أثر هذه النقطة عند حدود التفسير، بل يمتدّ إلى إعادة بناء الحقول العلميّة ذات الصلة.

فلا يعود اللسان العربيّ المبيّن مجردّ وعاءٍ بيانٍ، بل يصبح جهازاً إدراكياً يُنشئ طرائقَ مخصوصةً في الرؤية والتمييز.

ولا تبقى موازين البيان معايير بلاغيّة أو أخلاقيّة فحسب، بل تغدو أطراً تنظّم عمليّة الحكم والفرز والترجيح في الفرد والمجتمع.

ويُعَادُ النظرُ في علم أصول الفقه من حيثُ علاقتهُ بتكوينِ المكلفِ،
لا من حيثُ تقنياتُ الاستدلالِ وحدّها.

كما تفتَحُ العلومُ الاجتماعيّةُ والإنسانيّةُ على إمكانِ قراءةِ السلوكِ
والهويةِ والتحوّلِ الحضاريّ في ضوءِ أثرِ البيانِ في البنيةِ الإدراكيّةِ.

وعليه، فإنّ هذا البحثَ لا يدّعي أنّه يقدّمُ معالجةً نهائيّةً، بل يضعُ
لبنةً تأسيسيّةً في مسارٍ تجاوزِ الأزمةِ المعرفيّةِ الراهنةِ. إنّهُ يقترحُ إعادةَ مركزِ
الثقلِ:

من ظاهرِ العبارةِ إلى عمقِ التكوينِ،
ومن تحليلِ المعنى إلى دراسةِ أثرِ البيانِ في
صناعةِ الإنسانِ.

وبهذا التوجّهِ يُمهّدُ الطريقَ للدخولِ في النظريةِ بوصفها محاولةً
منهجيةً لإعادةِ قراءةِ البيانِ القرآنيّ قراءةً إدراكيّةً عميقةً، تُخرِجُ الفكرَ الإسلاميّ
من ضيقِ الاختزالِ إلى رحابةِ الأفقِ النبويّ الشاملِ.

مقدمة تأسيسية شاملة

ينطلق هذا البحث من أطروحة مركزية مفصليّة مفادها أنّ «البيان» في القرآن الكريم ليس مجرد أداة لغويّة تُؤدّي وظيفة الإفهام أو الإبلاغ، ولا هو إطارٌ تعبيريّ يُقصدُ به تحسينُ الدلالة أو تجويدُ الخطاب، بل هو قوةٌ تكوينيّةٌ فاعلةٌ في بنية الإنسان، تُعيدُ تشكيلَ داخله، وتُعيدُ ترتيبَ وعيه، وتُقومُ ميزانه، وتُنظّمُ حركته في الوجود. فليس البيان - في هذا التصوّر - سطحًا لغويًا، بل عمقٌ بنيويٌّ، وليس وظيفةً عارضةً، بل مكوّنٌ تأسيسيّ في هندسة الإنسان.

ومن هنا تتجلى طبيعة التحوّل الذي تقترحه هذه الدراسة:

انتقالٌ حاسمٌ من النظر إلى البيان بوصفه «خطابًا»
إلى فهمه بوصفه «بنيةً فاعلةً في التكوين الإنساني».

فبين تصوّرين مسافةٌ معرفيّةٌ عميقة؛ لأنّ الأوّل يُحيلُ البيانَ إلى مستوى الدلالة اللغويّة وحدها، أمّا الثاني فيرتقي به إلى مستوى البنية الوجوديّة التي يتشكّل بها الإنسان ويهتدي ويختلّ ويستقيم.

بهذا المعنى، يُعادُ توجيهُ علم التفسير من انحصاره في تحليل المعاني والألفاظ والسياقات إلى دراسة أثر البيان في تكوين الإنسان نفسه: كيف يُعيدُ ترتيب الإدراك، وكيف يُهذّب الانفعال، وكيف يُوجّه الدافعيّة، وكيف يُصوغُ القرار، وكيف يُرسّخُ العادة، وكيف يُنشئُ الهوية. فالتفسير - في ضوء هذه الأطروحة - لا يقتصرُ على بيان «ما يعنيه النص»، بل يتّجهُ إلى كشف «كيف يُعيدُ النصُّ بناءَ الإنسان».

كما يتحوّل الوحي - ضمنَ هذا الأفق - من كونه «مضمونًا معرفيًا» يُضافُ إلى رصيد الإنسان من المعلومات، إلى كونه «قوّة إعادة تشكيل» تُعيدُ ضبطَ ميزانه الداخلي، وتُعيدُ تنظيمَ علاقته بالحقّ والعدل والقصد والمال. فليس الوحي مجردَ تعليم خارجي، بل هو فعلٌ تكوينيٌّ مستمرٌّ يعملُ في عمق النفس ويُنشئُ تحوّلًا بنيويًا في رؤية الإنسان لنفسه وللعالم.

ومن هنا تفتحُ أمام هذه الأطروحة آفاق معرفيّة واسعة؛ إذ تمتلك قدرةً على إعادة تعريف جملة من العلوم المركزيّة في البيان الإسلاميّ.

فهي تُعيدُ النظر في علم اللسان العربيّ المبين بوصفه جهازًا بيانيًا تكوينيًا لا مجردَ نظام دلاليّ.

كما تُعيدُ تعريفَ المنطق العربيّ المبين والمنطق القرآنيّ المبين على أنّهما ليسا أدوات استدلالٍ صوريّةٍ فحسب، بل آليّات ضبطٍ لميزان

الإنسان في إدراكه وحكمه.

وتفتحُ أفقًا جديدًا في علم أصول الفقه، حيثُ يصبحُ البحثُ في الأدلّة وطرائق الاستنباط جزءًا من منظومةٍ أوسعٍ تتعلّق بإعادة تشكيل الإنسان المكلّف نفسه.

كما تُعني علم التفسير بإدخال البعد التكويني في تحليل النصّ، بحيثُ يُدرّس القرآنُ لا من حيثُ دلالاته فحسب، بل من حيثُ قدرته على إعادة بناء البنية الإنسانية.

ولا يقف أثر هذه الرؤية عند حدود العلوم الشرعيّة، بل يمتدُّ إلى العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة. فهي تُقدّم إطارًا لفهم السلوك الفرديّ والجماعيّ من منظورٍ بيانيّ، وتعيّد تعريف التربيّة القرآنيّة بوصفها عمليّة تشكيلٍ متدرّجٍ للوعي والقصد والسلوك، لا مجرد نقلٍ للقيم أو الأوامر.

كما تفتحُ أفقًا لتأسيس علم نفسٍ قرآنيّ ينظرُ إلى التحوّل الداخليّ من خلال عمل البيان في الإدراك والانفعال والدفاعيّة، بدلَ الاقتصارِ على النماذج الماديّة أو السلوكيّة أو المعرفيّة المنفصلة عن الوحي.

وفي البعد الحضاريّ، تُمهّد هذه الأطروحة لتأسيس أنموذجٍ إصلاحيّ ينطلق من إعادة تشكيل الإنسان قبل إعادة تنظيم المؤسسات. إذ لا

يمكنُ تقويمُ الاجتماعِ ولا إقامةَ القسطِ ما لم يُعادَ ضبطُ الميزانِ في الداخلِ الإنسانيِّ عبرَ البيانِ. وبذلكَ يغدو الإصلاحُ مشروعًا بيانيًا في جوهره، يقومُ على إعادة ترتيبِ الوعي قبل ترتيبِ الواقعِ.

ومن حيثُ الأصالة العلميّة، فإنّ هذه الفكرة لا تنتمي إلى المألوفِ في الأدبيّاتِ التفسيريّة التقليديّة التي غالبًا ما حصرتِ البيانَ في نطاقِ البلاغةِ أو الإفهامِ أو الإعجازِ البيانيِّ. بل هي أقربُ إلى وضعِ لبنةٍ لمدرسةٍ تفسيريّةٍ جديدةٍ تُعيدُ قراءةَ القرآنِ من زاويةٍ فعاليّته التكوينيّة الشاملة. فليست هي مجردُ أطروحةٍ تحليليّةٍ تُضيفُ رأيًا إلى آراءٍ سابقةٍ، بل محاولةٌ لتأسيسِ أفقٍ منهجيٍّ جديدٍ يُعيدُ صياغةَ العلاقةِ بين النصِّ والإنسانِ والعمرانِ.

بهذا المعنى، يُمثّلُ هذا البحثُ خطوةً في مسارِ بناءِ رؤيةٍ بيانيّةٍ متكاملةٍ ترى في القرآنِ قوّةَ إعادة تشكيلٍ شاملةٍ، وتستكشفُ آليّاتِ هذا التشكيلِ في بنيةِ الإنسانِ، وتُمهّدُ لتوسيعِ أثره في العلمِ والمجتمعِ والحضارة. ومن هنا تنبُعُ أهميّته التأسيسيّة، لا بوصفه دراسةً جزئيّةً، بل بوصفه مدخلًا لإعادة بناءِ التصورِ المعرفيِّ برمّته في ضوءِ البيانِ القرآنيِّ.

نظريّة البيان كقوّة تكوينيّة في القرآن

من الكلمة إلى إعادة تشكيل الإنسان

مقدّمة تأسيسيّة

يرد مفهوم البيان في القرآن لا على أنّه مادّة لغويّة فقط، بل على أنّه فعلٌ إلهيٌّ تكوينيٌّ يعيد ترتيب بنية الإنسان. قال تعالى:

﴿الرَّحْمَنُ • عَلَّمَ الْقُرْآنَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ • عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾

(الرحمن: 1-4)

جاء تعلّم البيان متعلّقاً بفعل الخلق، ممّا يدلّ على أنّ البيان جزءٌ من البناء الوجوديّ للإنسان، لا أداة تواصليةّ عارضة. وعليه فالبيان في التصرّور القرآني قوّة تعيد تنظيم الإدراك والانفعال والدافعيّة والقرار والعادة والهويّة، حيث ينتقل من مجردّ تبليغ المعنى إلى إعادة بناء الذات.

ولا يقف أثر البيان عند حدود الفهم النظري، بل يتجاوزه إلى إحداث تحوّل بنوي في الوعي، إذ يصوغ أفق الرؤية ويعيد ترتيب سلّم القيم ويوجّه مسار السلوك. وبهذا المعنى يكون البيان عمليّة تكوينيّة مستمرّة، تفعل قدرات

الإنسان العقلية والقلبية والسلوكية في نسق متكامل.

ليست الكلمة في القرآن صوتاً يمرّ، بل فعلاً ييني، وليست عبارة تُخبر، بل قوّة تُشكّل. ومن هنا تنبثق نظرية البيان كقوّة تكوينيّة، تفسّر كيف يتحوّل الخطاب القرآني من نصّ يُتلى إلى ميزانٍ يُقوّم، ومن معنى يُدرك إلى إنسان يُعاد بناؤه.

الإدراك

والانفعال

والدافعية

والقرار

والعادة

والهوية

ويمكن صياغة النظرية على النحو الآتي:

أنّ البيان آليّةٌ إلهيّةٌ لإعادة ضبط ميزان الإنسان الداخلي
حتّى ينسجم مع ميزان الحقّ.

أوّلاً: البيان وإعادة تنظيم الإدراك

يصرّح القرآن أنّ الإدراك ليس عمليةً حسّيةً محضة، بل موضعٌ

اختلالٍ أو استقامة. قال تعالى :

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج : 46).

يُظهر هذا أنّ مشكلة الإنسان ليست في غياب المُعطى، بل في اختلال القلب المُدرِك. فليس الخلل في العين، بل في مركز التقويم والتأويل. ومن هنا يتجاوز البيان مجرّد الإخبار إلى إعادة بناء أداة الإدراك نفسها.

ويأتي البيان ليصحّح هذا الخلل، فينقل الإنسان من رؤية مشوّشة إلى رؤية موزونة، ومن تأويلٍ منحرف إلى فهمٍ مستقيم، ومن تلقٍّ سلبيٍّ إلى وعيٍ يقط. قال تعالى :

﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾
(آل عمران : 138).

فالبيان يُعيد ترتيب المفاهيم، ويُفرّق بين الحقّ والباطل، وينقل الإنسان من الخلط إلى الفرز:

﴿لِّيَمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (الأنفال : 37).

إذاً فليس البيان مجرّد توضيحٍ لفظيٍّ، بل عمليةٌ تمييزٍ وجوديٍّ، تُعيد

بناء خريطة الإدراك، وتُنظّم مواضع المعاني في القلب، فتُثبت معيار الحقّ، وتكشف زيف الباطل، وتقيم ميزان الفهم على أساسٍ قيميّ مُحكم.

ثانيًا: البيان وتهذيب الانفعال

يربط القرآن بين القول والحال النفسيّة. قال تعالى:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28).

فالذكر - وهو شكلٌ بيانيّ - يُحدث اطمئنانًا، ويُعيد توزيع التوتر داخل النفس، فيحوّل القلق إلى سكون، والاضطراب إلى ثبات.

وعند المحنة يُعيد البيان تفسير الحدث ضمن إطارٍ قَدَرِيّ هادف، لا ضمن فوضى عمياء. قال تعالى:

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ (التغابن: 11).

فإذا تغيّر التأويل تغيّر الانفعال؛ إذ يتحوّل الخوف إلى ثقة، والحزن إلى رجاء، والغضب إلى عدلٍ منضبط. وهكذا لا يلغي البيانُ العاطفة، بل يَهْدِيها، ويُعيد تنظيم شدّتها واتجاهها، ويضبطها بميزان الحقّ.

ثالثاً: البيان وتوجيه الدافعية

يُصحّح القرآنُ الدافع عند الإنسان، فلا يجعل الفعل منحصراً في المنفعة العاجلة الدنيويّة، بل يربطه بمقصدٍ أعلى يتجاوز حدود المصلحة الآنيّة. قال تعالى:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾
(البينة: 5).

فالإخلاص بيانٌ داخليّ يعيد تعريف الغاية، ويُحرّر العمل من تشظّي المقاصد وتضارب النيات، ويُوحدّ الوجهة في اتجاهٍ واحد. وقال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
(الأنعام: 162).

هنا يتحوّل الدافع من المكسب الفرديّ المحدود إلى القصد الربّانيّ الشامل، فيستقرّ بعد اضطراب، ويتّسع بعد ضيق، ويغدو الفعل جزءاً من مشروع عبوديّة متكامل، لا مجرد استجابةٍ ظرفيّةٍ لحاجةٍ عابرة.

رابعاً: البيان وصناعة القرار

يجعل القرآن القرار مرتبطاً بالبيّنة، فلا يكون الاختيار اعتباطاً ولا

اندفاعاً، بل ثمرة وضوح سابق. قال تعالى :

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾
(الأنفال : 42).

فالقرار الصحيح ينشأ عن بيان واضح، وعن إدراكٍ منضبطٍ بالحق، لا عن ميلٍ عابرٍ أو رغبةٍ مضطربة. ويقابل ذلك قوله تعالى :

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (ص : 26).

فالهُوى قرارٌ بلا ميزان، أمّا البيانُ فيقيم معياراً يفصل بين الهوى والحق، ويضبط مجال الاختيار، ويعيد هندسة مساحة الإرادة بحيث تتحرّك ضمن حدودٍ بيّنة، لا ضمن فوضى الرغبات. وبذلك يصبح القرار فعلاً موزوناً، لا ردّة فعلٍ منفlette.

خامساً: البيانُ وتكوينُ العادة

لا يكفي القرآن بالإرشاد المجرّد، بل يكرّر البيان حتى تتكوّن الممارسة، ويتحوّل المعنى إلى فعلٍ دائم. قال تعالى :

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾
(العنكبوت : 45).

فالصلاة فعلٌ متكرّرٌ مؤطرٌّ ببيان، ومع التكرار لا تبقى القيمة فكرةً عابرة، بل تصير سلوكًا راسخًا، وعادةً منضبطةً بميزانٍ ثابت. وقال تعالى:

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾ (آل عمران: 41).

فالتكرار البياني لا يعيد اللفظ فحسب، بل يُنشئ نمطًا سلوكيًا مستقرًا، ويُعيد برمجة الاعتقاد، حتى يغدو الخير مألوفًا، ويضعف سلطان الانحراف. وهكذا يتحوّل البيان من لحظة تأثيرٍ عابرةٍ إلى بنيةٍ عادةٍ دائمة.

سادسًا: البيان وبناء الهوية

تتكوّن الهوية عند القرآن من الانتماء البياني، لا من مجرد الانتساب الاجتماعي أو العرقي. قال تعالى:

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾

(البقرة: 138).

فالصبغة هنا هي التشكّل الداخلي بمعاني الوحي، حيث يتلوّن القلب بقيم البيان، فتنعكس على الرؤية والسلوك والموقف.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾

(الأنفال: 2).

فتعريفُ الذات يتحدّد باستجابتها للبيان، لا بمجرد دعواها. فحيث يوجد التأثير الصادق يوجد الانتماء الحقيقيّ.

وهكذا تكون الهوية نتيجة سلسلةٍ تبدأ بإعادة تنظيم الإدراك، وتمرّ بهذيب الانفعال، وتوجيه الدافعيّة، وصناعة القرار، وتكوين العادة، ثم تنتهي بثبوت الصفة واستقرارها في البنية الداخليّة للإنسان. فالبيان لا يضيف وصفاً خارجياً، بل يُنشئ كينونةً متشكّلةً بميزان الحقّ.

النموذج الكلّي للنظرية

يمكن تلخيص البنية التكوينيّة على النحو الآتي:

البيان



تصحيح الإدراك



تهذيب الانفعال



توجيه الدافعيّة



ترشيد القرار

↓

ترسيخ العادة

↓

تشكّل الهوية

وَهَذَا يُفَسِّرُ قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾
(إبراهيم: 1).

فليس الخروج من الظلمات مجرد معلومة تُضاف إلى الذهن، بل تحوّل بنيويّ شاملٌ ينتقل فيه الإنسان من نظام إدراكٍ مختلٍّ إلى نظامٍ موزون، ومن اضطرابٍ داخليٍّ إلى نورٍ مستقرٍّ، ومن هويةٍ متشظيّةٍ إلى كينونةٍ منسجمةٍ مع ميزان الحقّ.

خاتمة تأسيسيّة

يتبيّن أنّ البيان في القرآن ليس أداةً وصفٍ، بل أداةً إعادة تشكيلٍ. إنّه يعيد ضبط ميزان الإنسان حتى يتّسق مع ميزان الحقّ الذي قال فيه:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ • أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾
(الرحمن: 7-8).

فَالْبَيَانُ هُوَ آليَّةُ إِقَامَةِ هَذَا الْمِيزَانِ فِي النَّفْسِ وَالْمُجْتَمَعِ.

فالميزانُ سنّةٌ كونيّةٌ، والبيانُ آليّةُ إقامته في الوعي والسلوك والعلاقات. وإذا اختلّ ميزان النفس اضطربَ الفهم وانحرفَ القرار وتشوّهت الهوية، وإذا استقام استقام العمران كله.

وبذلك تتأسّس نظريّة قرآنيّة تقرّر أنّ البيان قوّة تكوينيّة تعيد بناء الإنسان من الداخل، عبر مسارٍ يبدأ بتصحيح الإدراك ويمرّ بتهذيب الانفعال وتوجيه الدافعيّة وترشيد القرار وترسيخ العادة، حتى تتشكّل الهوية على ميزان الحقّ. فليس البيان خبراً يُسمّع، بل نوراً يُقيم الميزان في النفس والمجتمع.

المبحث الأول: التّأصيلُ القرآنيّ لمفهوم البيان كقوّة تكوينيّة

تمهيدٌ تأسيسيّ

لا يُقدّم القرآنُ البيانَ بوصفه صناعةً لفظيّةً أو مهارةً تعبيريّةً، بل يُدخِلهُ في نسقِ الخلقِ والتكوينِ والميزانِ. فليس البيانُ ملحقًا بالإنسان، بل هو مُقوّمٌ من مُقوّماتِ بنيتهِ الوجوديّةِ. وتتجلّى هذه الحقيقةُ بوضوحٍ في سورة الرحمن حيثُ يُرتّبُ النصُّ الأفعالَ ترتيبًا دلاليًّا كاشفًا:

﴿الرَّحْمَنُ • عَلَّمَ الْقُرْآنَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ • عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾

(الرحمن: 1-4)

يظهرُ من هذا الترتيبِ أنّ البيانَ ليس نتيجةً اجتماعيّةً لاحقةً، بل تعليمٌ إلهيٌّ ملازمٌ لفعليّةِ الخلقِ. فكما خُلِقَ الإنسانُ، أُعطيَ القدرةَ على البيانِ. ومن هنا تنشأُ الأطروحةُ المركزيّةُ:

البيان في القرآن قوّة تكوينيّة تعملُ على إعادة تنظيم الإنسان داخليّاً وفق ميزان الحقّ.

أولاً: البيان في سياق الخلق

يقدم النصّ القرآنيّ ثلاث طبقاتٍ مترابطةٍ:

1. تعليم القرآن
2. خلق الإنسان
3. تعليم البيان

ليس البيان هنا أداة نقلٍ، بل شرط تلقٍّ للقرآن، ووسيلة تحقّق الخلق بوظيفته. فالإنسان من دون بيانٍ لا يدرك، ولا يُميّز، ولا يُقيّم. ولهذا جاء البيان بعد الخلق مباشرةً، لا بعد الاجتماع أو الثقافة.

ويؤكد القرآن أنّ البيان مرتبطٌ بالفعل الإلهيّ المباشر، مما يخرجُه من نطاق التطوّر العرضيّ إلى مجال التأسيس المقصود. فليس البيان إذاً حياديّاً، بل موجهٌ نحو الحقّ.

ثانياً: البيان في سياق الميزان

تستكمل سورة الرحمن البناء التكوينيّ بذكر الميزان:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ • أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ •
وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن:
9-7)

الميزانُ قانونٌ كونيٌّ وأخلاقيٌّ. وإذا كان البيانُ قد أُعطيَ للإنسان، فإنّه
الأداةُ التي يُدرِكُ بها هذا الميزانَ ويُقيّمُهُ. فالبيانُ هو الوسيطُ الذي يربطُ الإدراكَ
البشريَّ بالنظامِ الكونيِّ.

ومن هنا يمكنُ صياغةُ علاقةٍ تأسيسيّةٍ:

الخلقُ ← البيانُ ← إدراكُ الميزانِ ← إقامةُ القسطِ

فالبيانُ هو الجسرُ بين الوجودِ والقيمة.

ثالثاً: البيانُ كإخراجٍ من الظلماتِ إلى النورِ

يُعرِّفُ القرآنُ مهمّةَ الوحيِّ بأنّها إخراجٌ وجوديّ:

﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾
(إبراهيم: 1)

ليس هذا الإخراجُ مكانيّاً بل إدراكيّاً وقيميّاً. تمثّلُ الظلماتُ اختلالَ
الرؤيةِ واختلاطَ المعاييرِ، والنورُ هو وضوحُ الميزانِ. فالبيانُ هنا فعلٌ تحويليّ

بنويّ، يُعيدُ ترتيبَ خرائطِ الإدراكِ والانفعالِ والدافعيّةِ.

ومن اللافتِ أنّ القرآنَ يستعملُ صيغةَ الجمعِ في الظلماتِ وصيغةَ المفردِ في النورِ، دلالةً على تعدّدِ مساراتِ الاختلالِ ووحدةِ مسارِ الحقِّ. البيانُ إذاً آليّةٌ توحيدٍ داخليّ.

رابعاً: البيانُ كآليّةٍ تمييزٍ وفرزٍ

يُصرّحُ القرآنُ بوظيفةِ التمييزِ:

﴿لَيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (الأنفال: 37)

التمييزُ عمليةُ فرزٍ داخليّةٍ. فالبيانُ يُنشئُ قدرةً على الفصلِ بين المتشابهاتِ، وعلى إدراكِ الفروقِ الدقيقةِ بين الحقِّ والباطلِ، بين العدلِ والهوّى. ومن دونِ بيانٍ يتحوّلُ الإنسانُ إلى كيانٍ انفعاليٍّ غيرِ منضبطٍ.

يُعيدُ البيانُ ترتيبَ الأولويّاتِ، ويضعُ كلّ معنىٍ في موضعهِ الصحيحِ. وهذه عمليةٌ تكوينيّةٌ، لأنّها تُغيّرُ بنيةَ الحكمِ الداخليّ.

خامساً: البيانُ والقلوبُ بوصفها مركزَ الإدراكِ

يُبيّنُ القرآنُ أنّ مركزَ الإدراكِ هو القلبُ:

نظريّة البيان كقوّة تكوينيّة شاملة - إعادة تنظيم البنية الإنسانية

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ (الأعراف: 179)

الفقه فعلٌ بيانيّ. وعندما يغيبُ البيانُ، يعمى القلبُ:

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ﴾

(الحج: 46)

إذاً البيانُ يعيدُ فتحَ البصيرة. وهذا الفتحُ ليس إضافةً معلومةً، بل إعادةُ تفعيلِ جهازِ التمييزِ الداخليّ.

سادساً: البيانُ والذكرُ كآليّةٍ تثبيتٍ

يربطُ القرآنُ بينَ الذكرِ والطمأنينة:

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28)

الذكرُ تكرارٌ بيانيّ يُرسِّخُ المعنى. ومع التكرارِ يتكوّنُ نمطٌ إدراكيّ مستقرّ. وهنا يظهرُ البعدُ التكوينيّ للبيان؛ إذ يتحوّلُ من خطابٍ إلى حالةٍ ثابتةٍ في القلبِ.

سابعاً: البيانُ والابتلاءُ كإعادةٍ توجيه

يقولُ تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ (الملك: 2)

الابتلاء موقف وجودي. والبيان يُعطيه تفسيراً قيميّاً. فبدل أن يفهم الحدث بوصفه خسارة، يُعاد فهمه بوصفه امتحاناً. وهذا التحوّل في التفسير يُغيّر الانفعال والدافع والسلوك.

ثامناً: البيان وصناعة الهوية القرآنيّة

تتجلّى الهوية في مفهوم الصبغة:

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ (البقرة: 138)

الصبغة تعني التلوّن الدائم. فليس البيان لحظة استجابة عابرة، بل عملية تشكّل مستمرة. ومع تكرار التفاعل مع البيان، تتكوّن شخصية متوازنة وفق الميزان.

الخلاصة التأسيسية

يمكن تلخيص البناء التكوينيّ القرآنيّ كما يلي:

1. خلق الإنسان
2. تعليمه البيان
3. وضع الميزان

4. إنزالُ الكتاب

5. إخراجُ الناسِ من الظلماتِ

6. إقامةُ القسطِ

البيانُ هو الآليّةُ المحوريّةُ في هذه السلسلةِ كلّها. ومن دون فهمِ البيانِ كقوّةٍ تكوينيّةٍ، يُختزلُ القرآنُ إلى نصٍّ معرفيّ فقط، بينما هو في حقيقته مشروعُ إعادةِ بناءٍ للإنسانِ.

المبحث الثاني: البَيَانُ وَإِعَادَةُ تَنْظِيمِ الإِدْرَاكِ

تمهيدٌ تأسيسي

إذا كَانَ المبحثُ الأوّلُ قد قرّر أنّ البَيَانَ قوّةٌ تكوينيّةٌ في بنية الإنسان، فإنّ هذا المبحثُ يُفصّلُ أوّلَ مجالاتِ عملِ هذهِ القوّة: الإدراك. فالقرآنُ لا يتعاملُ مع الإدراكِ بوصفه عمليةً حسيّةً محايدةً، بل بوصفه ساحةً صراعٍ بين الحقِّ والباطل، وبين النورِ والظلمة، وبين البصيرةِ والعمى.

ومن هنا تتأسّسُ القاعدةُ البيانيّةُ التكوينيّةُ الأولى:

ليس الإدراكُ في القرآنِ استقبالاً للمعطياتِ،
بل استجابةٌ للبيان.

أولاً: بنية الإدراكِ في التصرّوِ القرآنيّ

يُفرّقُ القرآنُ بين ثلاثِ طبقاتٍ إدراكيّة:

نظريّة البيان كقوّة تكوينيّة شاملة - إعادة تنظيم البنية الإنسانيّة

1. الحِسّ (السمع والبصر)

2. القلب (الفقه والبصيرة)

3. العقل (التفكّر والتدبّر)

1. الحِسّ: مدخلُ المعطيات

قال تعالى:

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ (النحل: 78)

يلتقطُ الحِسُّ الظواهرَ، لكنّه لا يحكمُ عليها. ولهذا قد يرى الإنسانُ الحقَّ ولا يدركُهُ:

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ (النحل: 83)

فالمعرفةُ الحسيّةُ لا تكفي.

2. القلب: مركزُ الفقه

قال تعالى:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ (الأعراف: 179)

ليس القلبُ في القرآنِ مركزًا عاطفيًّا فحسب، بل جهازُ الفقه. والفقهُ

فعلٌ بيانيّ، لأنّه يقومُ على ربطِ المعنى بسياقه وميزانه.

وعندما يختلُّ البيانُ، يعمى القلبُ:

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ﴾

(الحج: 46)

فالعمى هنا إدراكيّ، لا بصريّ.

3. العقل: آليّة الربط والاستنتاج

قال تعالى:

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 44)

العقلُ فعلٌ ربطٍ بين المعاني. لكنّ العقلَ في القرآن لا يعملُ في فراغٍ،

بل تحتَ توجيهِ البيان. فإذا انفصلَ عن البيان، صارَ أداةً تبريرٍ للهوى:

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ (النجم: 23)

ثانيًا: البيان كإعادة ضبطٍ للخرائط الإدراكيّة

يعملُ البيانُ على ثلاثة مستوياتٍ إدراكيّة:

1. إعادة تعريف المفاهيم

يُعيدُ القرآنُ تعريفَ مفاهيمَ محوريّةٍ:

- القوّة ليست غلبةً، بل تقوى
- الكرامة ليست نسباً، بل عملاً
- الحياة ليست دنياً، بل مآلاً

قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى﴾ (الحجرات: 13)

هذا البيانُ يُغيّرُ سلّمَ القيمِ الإدراكيّ.

2. إعادة ترتيب الأولويات

قال تعالى:

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا • وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (الأعلى:

16-17)

هنا يُصحّحُ البيانُ اختلالَ الترتيبِ. فالإنسانُ بطبعه يُقدِّمُ القريبَ على البعيدِ، لكنّ البيانَ يُعيدُ هندسةَ الأفقِ الزمنيّ، فيُدخلُ المآلَ في الحسابِ الإدراكيّ.

3. كشف الوهم وإبطال الظنّ

قال تعالى :

﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (يونس : 36)

يكشف البيان البنى الوهميّة التي يقوم عليها الإدراك الفاسد. فهو لا يضيف معلومة فقط، بل يهدم بنية خاطئة ويُقيم بدلها بنية صحيحة.

ثالثاً: الظلمات كاختلال إدراكيّ

قال تعالى :

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾

(البقرة: 257)

الظلمات في سياق الإدراك تعني :

- خلط المفاهيم
- غياب الميزان
- سيطرة الهوى
- هيمنة الظنّ

نظريّة البيان كقوّة تكوينيّة شاملة - إعادة تنظيم البنية الإنسانية

والتّور هو وضوح العلاقات بين المعاني.

إذن، البيان عملية إنقاذ إدراكيّ.

رابعًا: التدبّر كفعل بيانيّ إدراكيّ

قال تعالى :

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ (النساء: 82)

ليس التدبّر قراءة، بل إعادة بناء المعنى في الداخل. إنه فعل تفاعل مع البيان، يؤدي إلى إعادة تشكيل الخريطة المعرفيّة.

ولهذا يرتبط التدبّر بوحدة المعنى :

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء:

82)

يُنتج الانسجام في البيان انسجامًا في الإدراك.

خامسًا: أثر البيان في تحويل الرؤية الكونيّة

القرآن يُغيّر نظرة الإنسان إلى :

○ الكون : ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ بُطْلًا﴾ (ص: 27)

نظريّة البيان كقوّة تكوينيّة شاملة - إعادة تنظيم البنية الإنسانيّة

○ الحياة: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ (المؤمنون: 115)

○ الموت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آل عمران: 185)

هذه التحوّلات الإدراكيّة تغيّر كلّ البنية الداخليّة للإنسان.

سادسًا: الأنموذج التكوينيّ لإعادة تنظيم الإدراك

يمكن تمثيل عمليّة التحوّل الإدراكيّ كالآتي:

بيان قرآنيّ

↓

كشف اختلال في الفهم

↓

إعادة تعريف المفهوم

↓

ترتيب الأولويّات

↓

تشبيّه المعنى عبر الذكر

↓

تحوّل الرؤية الشاملة

وبهذا يصبح الإدراك منسجماً مع الميزان.

الخلاصة البنيويّة

ليس الإدراك في القرآن معطًى ثابتاً، بل بنية قابلةٌ للتشكيل. والبيان هو الأداة التي تُعيد ضبط هذه البنية. ومن دون بيان يتحوّل الإنسان إلى كيانٍ تفاعليّ تحكمه الظنون والانفعالات. أما بالبيان، فيُصبح كياناً موزوناً يرى الأشياء بميزان الحقّ.

وبهذا نكون قد بيّنا أنّ أوّل مجالات عمل البيان هو إعادة تنظيم الإدراك.

المبحث الثالث: البيانُ وتنظيمُ الانفعالِ

تمهيدٌ منهجيّ

إذا كان الإدراكُ هو أوّلُ مواضعِ عملِ البيانِ، فإنّ الانفعالَ هو الميدانُ الذي تتجلّى فيه آثارُ هذا العملِ. فالقرآنُ لا يُنكرُ وجودَ الانفعالِ في الطبيعةِ الإنسانيةِ، بل يُقرّره ويؤطرّه ويُعيّدُ توجيهه. وليس الانفعالُ في تصوّرِ القرآنيّ عارضاً ثانوياً، بل قوّةٌ محرّكةٌ للسلوكِ، إمّا أن تُضبطَ بميزانِ البيانِ فتكونَ طاقةً بناءً، وإمّا أن تنفلتَ فتتحوّلَ إلى عاملٍ طغيانٍ.

ومن هنا تتأسّسُ القاعدةُ البيانيّةُ التكوينيّةُ الثانيةُ:

البيانُ لا يُلغي الانفعالَ،

بل يُعيّدُ ضبطَ شدّتهِ واتّجاهه وفقَ الميزانِ.

أولاً: الانفعالُ في البنيةِ القرآنيّةِ

يقدمُ القرآنُ طيفاً واسعاً من الانفعالاتِ:

نظريّة البيان كقوّة تكويّنيّة شاملة - إعادة تنظيم البنية الإنسانيّة

- الخوف
- الحزن
- الفرح
- الغضب
- الرجاء
- الطمأنينة
- الوجل

وليست هذه مجرد حالات نفسيّة، بل مؤشّرات على علاقة القلب بالحقّ.

قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾

(الأنفال: 2)

ليس الوجل هنا ضعفًا، بل حساسيّةٌ روحيّةٌ منضبطةٌ بالذكر. فليس الانفعال في ذاته مرفوضًا، بل مقياسُهُ ارتباطُهُ بالبيان.

ثانيًا: البيان وتحويلُ الخوفِ

الخوفُ من أعمقِ الانفعالاتِ البشريّة. والقرآنُ يُعيدُ توجيههُ:

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ﴾ (آل عمران: 175)

هنا لا يُلغى الخوف، بل يُعادُ تحديدُ موضوعه. فالبيانُ يُحرّرُ الإنسانَ من الخوفِ الموهوم، ويُثبّتُ في قلبه خشيةً موزونةً.

كما يقولُ تعالى:

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: 38)

ليس هذا الوعدُ نفيًا للحسّ الانفعاليّ، بل نفيٌّ للقلقِ الوجوديّ الناتج عن اختلالِ الميزان.

ثالثًا: البيانُ وإعادةُ تفسيرِ الحزنِ

الحزنُ مرتبطٌ بفقدٍ أو إخفاقٍ. لكنّ القرآنَ يُعيدُ تفسيرَ الحدثِ:

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (التغابن: 11)

وعندما يُدركُ القلبُ هذا البيانَ، يتحوّلُ الحزنُ من انهيارٍ إلى صبرٍ. ولهذا يقولُ تعالى:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ (آل عمران: 139)

فالبيانُ يُعيدُ ترتيبَ العلاقةِ بين الحدثِ وقيمتِهِ، فيخفضُ مستوى

الانكسار النفسي.

رابعاً: البيان وضبط الغضب

الغضب طاقة خطيرة إن لم تُضبط. والقرآن لا ينفيه، بل يُهذّبه:

﴿وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾

(آل عمران: 134)

الكظم فعلٌ إراديٌّ قائمٌ على بيانٍ داخليٍّ يُذكرُ بالعدل والفضل. فالغضب حين يُعادُ تأطيره ضمنَ ميزانِ القسطِ يتحوّلُ من انفجارٍ إلى موقفٍ أخلاقيٍّ.

خامساً: البيان وصناعة الطمأنينة

ليست الطمأنينة حالةً بيولوجيّةً، بل ثمرةٌ ذكرٍ بيانيٍّ:

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28)

الذكرُ تكرارٌ منظّمٌ للبيان، ومع التكرار يتكوّن استقرارٌ داخليٌّ. فالبيان يُعيدُ برمجةَ الاستجابة الانفعاليّة، ويُنشئُ نمطاً من السكينة المتكرّرة.

سادساً: الفرخ الموزون

لا يرفض القرآن الفرح، لكنه يُصحّحه:

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾
(يونس: 58)

ويحذّر من الفرح المتضخم:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (القصص: 76)

فالبيان يُعيدُ تعريفَ موضوعِ الفرح، فيتحوّل من تعظيمِ الذاتِ إلى تعظيمِ النعمة.

سابعاً: الاضطرابُ الانفعاليّ كنتيجةٍ لغيابِ البيان

يصفُ القرآنُ حالَ من غابَ عنه البيانُ:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾
(طه: 124)

ليس الضنكُ فقرًا ماديًّا، بل ضيقٌ نفسيّ. فالانفعالُ حينَ ينفصلُ عن البيانِ يتحوّلُ إلى قلقٍ دائمٍ.

ثامناً: الأنموذجُ التكوينيّ لتنظيمِ الانفعال

نظريّة البيان كقوّة تكويّنيّة شاملة - إعادة تنظيم البنية الإنسانيّة

يمكنُ رسمُ مسارِ التحوّلِ كالآتي:

حدثٌ خارجيٌّ

↓

تفسيرٌ إدراكيٌّ

↓

بيانٌ قرآنيٌّ يُعيدُ تعريفَ الحدثِ

↓

تعديلُ التقييمِ الداخليِّ

↓

تحوّلُ الشحنةِ الانفعاليّةِ

↓

استقرارٌ أو توازنٌ

فالبيانُ يعملُ في منطقةِ التفسيرِ بين الحدثِ والانفعالِ.

تاسعًا: العلاقةُ بين الإدراكِ والانفعالِ

يتّضحُ من المبحّثين أن:

إعادة تنظيم الإدراك ← تؤدي إلى إعادة تنظيم الانفعال

فالانفعال تابع للمعنى، والمعنى يُعادُ بناؤه بالبيان.

الخلاصةُ البنيويّة

ليس الانفعالُ في القرآنِ قهرًا بيولوجيًا، بل مجالٌ تهذيبٍ وتوجيهٍ. والبيانُ هو الآليّةُ التي تُعيدُ توزيعَ الطاقةِ الانفعاليّةِ، فتحوّلُ الخوفَ إلى خشيةٍ، والحزنَ إلى صبرٍ، والغضبَ إلى عدلٍ، والفرحَ إلى شكرٍ، والقلقَ إلى طمأنينةٍ.

وبذلك يتحقّقُ التوازنُ الداخليُّ الذي يُمهّدُ للمرحلةِ التاليةِ:

إعادةُ تشكيلِ الدافعيّةِ.

المبحث الرابع: البيانُ وإعادةُ توجيهِ الدّافعيّة

تمهيدٌ تأسيسي

إذا كانَ البيانُ قد أعادَ تنظيمَ الإدراكِ، ثمَّ هذَّبَ الانفعالَ، فإنَّه ينتقلُ في مرحلتهِ الثالثةِ إلى إعادةِ توجيهِ الدافعيّةِ؛ أي الباعثِ الداخلي الذي يُحرِّكُ الفعلَ. فليست الدافعيّةُ في تصوّرِ القرآنيّ طاقةً عمياءَ، بل قوّةٌ قابلةٌ للتقويمِ والتسامي والانحرافِ. والفرقُ بين إنسانٍ مستقيمٍ وآخرٍ طاغٍ لا يعودُ إلى القدرةِ فقط، بل إلى وجهةِ الدافعِ.

ومن هنا تتأسّسُ القاعدةُ البيانيّةُ التكوينيّةُ الثالثةُ:

لا يكفي البيانُ بتعديلِ الشعورِ،
بل يُعيّدُ تعريفَ الغايةِ التي يتحرّكُ نحوها الإنسانُ.

أولاً: البنيةُ الدافعيّةُ في القرآن

نظريّة البيان كقوّة تكوينيّة شاملة - إعادة تنظيم البنية الإنسانيّة

يقرّر القرآن أنّ الإنسان كائنٌ قصديٌّ، يتحرّكُ وفق غايةٍ:

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهٖ﴾

(الانشقاق: 6)

الكَدْحُ حركةٌ مستمرّةٌ، والدافعُ فيها مركزٌ في البنية الوجوديّة. لكن

ليس السؤال القرآنيّ:

هل يتحرّكُ الإنسان؟

بل:

إلى ماذا يتحرّكُ؟

ثانيًا: اختلالُ الدافع في غيابِ البيان

حين ينفصلُ الدافعُ عن البيان، ينحصرُ في المنفعة القريبة:

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (الأعلى: 16)

ويصبحُ العملُ موجّهًا نحوَ العاجلِ:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾ (الإسراء:

(18)

الإرادةُ هنا موجّهةٌ إلى أفقٍ ضيقٍ. فالبيانُ حين يغيّبُ، تُختزلُ الغايةُ

في اللحظة.

ثالثاً: البيان وإعادة تعريف الغاية

يعيد القرآن تعريف الغاية القصوى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

(الذاريات: 56)

ليست العبادة هنا شعيرةً فحسب، بل توجيةً شاملٌ للحركة الإنسانية.

فالبيان يُخرج الدافع من مركز الذات إلى مركز الحق.

ويُقرّر هذا التحوّل في صيغة جامعة:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(الأنعام: 162)

هنا يتوسّع الدافع ليشمل الحياة والموت معاً.

رابعاً: الإخلاص بوصفه إعادة ضبط دافعي

ليس الإخلاص صفةً عاطفيّةً، بل بيانٌ داخليّ يُعيد تحديد مصدر

القيمة:

نظريّة البيان كقوّة تكوينيّة شاملة - إعادة تنظيم البنية الإنسانية

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾

(البينة: 5)

الإخلاص يُنقي الدافع من شوائب الرياء والمصلحة العارضة. فحين يُعاد تعريف الفعل ضمن أفق ربّانيّ، يكتسب ثباتاً لا يتزعزع بتقلبات النتائج.

خامساً: الابتلاء كآليّة لإعادة توجيه الدافع

قال تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

(الملك: 2)

الابتلاء بيان عمليّ يُعيد اختبار وجهة الدافع. فهل يتحرّك الإنسان طلباً للثناء، أم طلباً للإحسان؟

الإحسان معيار الجودة الدافعيّة،

لأنّه يتجاوز ظاهر الأداء إلى نقاء القصد.

سادساً: تحويل الرغبة إلى رجاء

قد تنحصر الرغبة الطبيعيّة في المكسب الدنيويّ، لكنّ البيان يُحوّلها

إلى رجاءٍ أوسع:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ (الكهف:

(110

الرجاء دافعٌ مستقبليّ يرتبطُ بالمآلِ، لا بالمكسبِ اللحظيِّ.

سابعًا: العلاقة بين الدافع والانفعال

يتّضحُ من البناءِ السابقِ أنّ:

إعادة تفسير الحدثِ (إدراك)

← تُنتجُ توازنًا انفعاليًّا

← يُمهّدُ لإعادة توجيهِ القصدِ

فالبيانُ يعملُ على سلسلةٍ مترابطةٍ:

إدراكٌ موزونٌ ← انفعالٌ مستقرٌّ ← دافعٌ موجهٌ.

ثامنًا: الصبرُ كاستقرارٍ دافعيّ

ليس الصبرُ تحملاً سلبياً، بل ثباتٌ على غايةٍ بيانيّةٍ:

﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (النحل: 127)

فالدافعُ حين يتّصلُ بالبيانِ يصبحُ قادراً على الاستمرارِ رغمَ العوائقِ.

تاسعاً: الأنموذج التكوينيّ لإعادة توجيه الدافعيّة

يمكنُ رسمُ المسارِ كالاتي:

حدثٌ أو حاجةٌ

↓

تفسيرٌ إدراكيّ

↓

تعديلٌ انفعاليّ

↓

بيانٌ يُعيدُ تعريفَ الغاية

↓

توجيهُ القصدِ

↓

فعلٌ مستقرٌّ طويلُ الأمدِ

وهنا يتحوّل الإنسانُ من كائنٍ تحرّكه اللحظةُ إلى كائنٍ تحرّكه

الغايةُ.

الخلاصةُ البنيويةُ

يُعِيدُ البيانُ في القرآنِ تشكيلَ البوصلةِ الداخليّةِ للإنسان. فهو لا يُضيفُ هدفاً ثانوياً، بل يُعيدُ ترتيبَ سلّمِ الغاياتِ كلّهِ. ومن خلالِ هذا التحوّلِ تنتقلُ الحركةُ الإنسانيّةُ من السعيِ المحدودِ إلى السعيِ الموزونِ بالميزانِ. وبهذا نصلُ إلى المرحلةِ التاليةِ من عملِ البيانِ: هندسةُ القرارِ.

المبحث الخامس: البيانُ وصناعة القرار

تمهيدٌ تأسيسيّ

إذا أعادَ البيانُ تنظيمَ الإدراك، وهذَّبَ الانفعالَ، ووجَّهَ الدافعيّةَ، فإنَّ المرحلةَ الرَّابِعةَ من عمله التكوينيّ تتمثّلُ في صناعةِ القرارِ. فالقرارُ هو النقطةُ التي يتحوّلُ فيها الإدراكُ والقصدُ إلى فعلٍ محدّدٍ في الواقع. وهو لحظةُ الحسمِ بين بدائلٍ متنافسةٍ.

والقرآنُ لا يتعاملُ مع القرارِ بوصفه عمليّةً ذهنيّةً باردةً، بل بوصفه لحظةَ اختبارٍ لميزانِ الداخلِ. ومن هنا تتأسّسُ القاعدةُ البيانيّةُ التكوينيّةُ الرَّابِعةُ:

البيانُ يُعيدُ تشكيلَ ساحةِ الاختيارِ،
فيجعلُ القرارَ صادرًا عن بيّنةٍ لا عن هوى.

أولاً: القرارُ بين البيّنةِ والهوى

يقرّرُ القرآنُ أنَّ الحياةَ الحقّةَ أو الهلاكَ يتحدّدان بالبيّنةِ:

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾

(الأنفال: 42)

ليست البيّنة هنا معلومةً فحسب، بل وضوحٌ كاملٌ في المعنى والمآل. فالقرارُ حين يُبنى على البيان يكونُ مسؤولاً، أما إذا بُني على الهوى، انحرف:

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (ص: 26)

فالهوى اختلالٌ في الميزان الداخلي، بينما البيان إعادة توازنٍ.

ثانيًا: ساحة البدائل في المنظور القرآني

يتشكّل القرارُ حين تتعدّد الخيارات. والقرآن يُظهرُ هذا التعدّد

بوضوح:

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد: 10)

النجدان طريقان، أحدهما أيسرُ ظاهرًا، والآخرُ أثقلُ لكنّه أهدى.

والبيان يُعيدُ تعريفَ قيمة كلّ طريقٍ.

فمن دون البيان يُقاسُ القرارُ بميزان الراحة الآنيّة، أما بالبيان فيُقاسُ

بميزان العاقبة.

ثالثًا: إدخال المآل في صناعة القرار

من أعظم ما يفعله البيان أنّه يُدخِلُ المآلَ في الحسابِ اللحظيّ:

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (الأعلى: 17)

بهذا يتحوّل القرارُ من اختيارٍ قصيرِ النظرِ إلى اختيارٍ ممتدٍّ زمنيًّا. فالبيانُ يوسّعُ أفقَ الزمنِ داخلَ الوعي.

رابعًا: الشورى كنموذجٍ جماعيٍّ للقرارِ البيانيّ

قال تعالى:

﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: 38)

ليست الشورى إجراءً إداريًّا، بل آليّةٌ تنظيمٍ بيانيٍّ جماعيٍّ. فهي إدخالُ البيانِ في دائرةَ التداولِ، حتى لا ينفردَ الهوى بالقرارِ.

خامسًا: القرارُ تحتَ ضغطِ الانفعال

يعرضُ القرآنُ نماذجَ لقراراتٍ خاطئةٍ صدرت تحتَ ضغطِ الغضبِ أو الحسدِ، كما في قصةِ إخوةِ يوسف:

﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ (يوسف: 9)

هنا غابَ البيانُ، فسيطرَ الانفعالُ. لكنّ القصةَ نفسها تُظهرُ تحوُّلاً لاحقاً حين عادَ الإدراكُ إلى ميزانه.

فالقرارُ غيرُ الموزونِ هو نتيجةُ اختلالِ المراحلِ السابقة.

سادساً: القرارُ المرتبطُ بالاستخلافِ

يُعرّفُ القرآنُ الإنسانَ بوصفه خليفَةً:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: 30)

الاستخلافُ يعني أنّ كلّ قرارٍ له أثرٌ يتجاوزُ الذاتَ. فالبيانُ يُحمّلُ القرارَ بُعداً أخلاقياً كونياً.

سابعاً: التقوى كآليّةٍ ترجيحٍ

قال تعالى:

﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (الأنفال: 29)

الفرقانُ قدرةٌ تميّزُ حاسمةٌ عندَ مفترقِ الطرقِ. والتقوى حالةٌ إدراكيّةٌ وانفعاليّةٌ ودافعيّةٌ متكاملةٌ تُثمرُ قراراً صائباً.

ثامناً: أنموذجُ التحوّلِ القراريّ

يمكنُ تمثيلُ عمليّةِ صناعةِ القرارِ في ضوءِ البيانِ كالآتي:

بدائلُ متعدّدة

↓

إدراكُ المآلاتِ عبرَ البيانِ

↓

ترجيحُ بالميزانِ

↓

عزمٌ

↓

تنفيذُ مسؤولٍ

ويؤكدُ القرآنُ قيمةَ العزمِ:

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (آل عمران: 159)

تاسعاً: القرارُ كحلقةٍ محوريّةٍ في السلسلةِ التكوينيّةِ

يتّضحُ أنّ القرارَ هو نقطةُ التحويلِ من الداخلِ إلى الخارجِ. فالبيانُ حينَ ينجحُ في المراحلِ السابقةِ يُنتجُ قراراً موزوناً. وإذا اختلّت إحدى

الحلقات، جاء القرار مضطرباً.

إذن السلسلة الكاملة الآن:

إدراكٌ موزون

← انفعالٌ متّزن

← دافعٌ موجه

← قرارٌ على بنية

وهذا يمهدُ للمرحلة التالية: تحويلُ القرار المتكرّر إلى عادةٍ مستقرّة.

الخلاصةُ البنيويّة

ليس القرارُ في القرآن مجرّد اختيارٍ، بل لحظةُ ظهورِ الميزانِ في الفعلِ. والبيانُ هو الذي يُعيدُ ترتيبَ البدائلِ، ويدخلُ المآلَ في الحسابِ، ويُحرّرُ الإرادةَ من ضغطِ الهوى.

وبذلك يكتملُ البناءُ حتى هذه المرحلة، ويبقى أن نُبيّن كيفَ تتحوّلُ القرارات المتكرّرةُ إلى عاداتٍ راسخةٍ تشكّلُ الشخصيةَ.

المبحث السادس: البيانُ وصناعةُ العادةِ

تمهيدٌ تأسيسيّ

إذا كانَ القرارُ هو لحظةُ التحوّلِ من الداخلِ إلى الفعلِ، فإنّ العادةَ هي تحوّلُ الفعلِ إلى نمطٍ مستقرٍّ في البنيةِ الإنسانيّةِ. والقرآنُ لا يكتفي بتصحيحِ القرارِ في لحظةٍ مفردةٍ، بل يعملُ على تثبيتِ هذا القرارِ حتى يصيرَ سلوكًا متكرّرًا، ثم يتحوّلَ إلى طبعٍ راسخٍ.

ومن هنا تتأسّسُ القاعدةُ البيانيّةُ التكوينيّةُ الخامسة:

حين يتكرّرُ في الوعي،
يتحوّلُ البيانُ من خطابٍ إلى عادةٍ،
ومن عادةٍ إلى صفةٍ ثابتةٍ.

أولاً: التكرارُ البيانيُّ كأساسٌ للتثبيت

من أبرز سماتِ البناءِ القرآنيّ التكرارُ المقصودُ. فالمعاني الكبرى - التوحيدُ، الآخرةُ، التقوى، القسطُ - لا تُذكرُ مرّةً واحدةً، بل تتكرّرُ بصيغٍ

متنوّعة. وليس هذا التكرار أسلوباً بلاغيّاً فحسب، بل آليّة تكوينيّة لإعادة تثبيت المعنى.

قال تعالى :

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: 55)

ليست الذكرى هنا إعلاماً، بل إعادة تنشيط للمعنى داخل البنية الإدراكية.

ثانياً: الصلاة كنموذج لصناعة العادة

يقدم القرآن الصلاة بوصفها فعلاً متكرراً ذا أثر أخلاقي :

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾

(العنكبوت: 45)

ليس النهي هنا أمراً مباشراً، بل نتيجة بنيويّة لتكرار الفعل المؤطر بالبيان. فالصلاة تكرار يوميّ يعيد ضبط الإدراك والانفعال والدافع، ومع الزمن يتكوّن نمط سلوكيّ منضبط.

ثالثاً: الذكر المستمر وتكوين الاستقرار الداخلي

قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾
(الأحزاب : 41)

الكثرة هنا عنصر تكوينيّ. فالمعنى حين يُستحضر مرارًا، يُصبح جزءًا من البنية العميقة للإنسان. ويتحوّل الذكر من فعلٍ إراديٍّ إلى ميلٍ داخليٍّ مستقرٍّ.

رابعًا: الصبرُ والمداومةُ

قال تعالى :

﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ (المزمل : 10)

ليس الصبرُ لحظةَ تحمّلٍ، بل استمراريّةٌ في الموقف. ومع التكرارِ يصبحُ خُلُقًا ثابتًا. فالبيان حين يُرسّخُ الغاية، يُمكنُ الإنسانَ من الثباتِ المتواصلِ.

خامسًا: التحذيرُ من العادةِ الفاسدةِ

كما يصنعُ البيانُ عادةً صالحةً، فإنّ غيابَهُ يصنعُ عادةً منحرفةً. قال تعالى :

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

(المطففين: 14)

الرّينُ تراكمٌ تدريجيّ. فحين يتكرّر الفعلُ في اتجاهٍ خاطئٍ يُكوّنُ طبقةً على القلبِ، حتى يصير الانحرافُ عادةً.

سادسًا: الاستقامة كنمطٍ دائمٍ

قال تعالى:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ (هود: 112)

ليست الاستقامة فعلًا عابرًا، بل خطٌّ مستمرٌّ. وهي نتيجةُ ترسيخِ البيانِ في الداخلِ حتى يصير السلوكُ تلقائيًا في اتجاهِ الحقِّ.

سابعًا: العلاقة بين القرار والعادة

يتحوّل القرارُ إلى عادةٍ عبر التكرار الواعي. فالقرارُ الموزونُ إذا تكرّر تحت إشرافِ البيانِ، يصبحُ ميلاً داخليًا. ومع الزمنِ يختفي التردّدُ، ويحلُّ محله ثباتٌ أخلاقيّ.

السلسلةُ الآن تتوسّع:

إدراكٌ موزون

← انفعالٌ متّزن

← دافعٌ موجه

← قرارٌ على بينة

← تكرارٌ مستمر

← عادةٌ مستقرة

ثامنًا: العادة كمرحلةٍ ما قبل الهوية

تمهّد العادة لتشكّل الهوية. فالإنسان لا يُعرّف بما يفعلُ مرّةً، بل بما يداومُ عليه. ولهذا يُكثر القرآن من وصفِ المؤمنينَ بأفعالٍ مستمرةٍ:

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (المعارج: 23)

فالديمومة هي العلامةُ الفارقةُ بين الفعلِ العرضيّ والصفةِ الراسخة.

تاسعًا: الأنموذج التكويني لصناعة العادة

بيانٌ يُعيدُ تعريفَ المعنى

↓

قرارٌ على بينة

↓

نظريّة البيان كقوّة تكوينيّة شاملة - إعادة تنظيم البنية الإنسانيّة

تكرارٌ تحت وعيٍ قيميّ



ترسيخٌ تدريجيّ



تحوّلُ الفعلِ إلى طبعٍ

وهنا ينتقلُ البيانُ من مستوى التوجيه اللحظيّ إلى مستوى إعادة تشكيل الطبيعة السلوكيّة.

الخلاصةُ البنيويّة

ليست العادةُ في تصوّرِ القرآنيّ نتاجَ آليّةٍ عمياءَ، بل نتيجةُ تفاعلٍ متكرّرٍ مع البيانِ. فالبيانُ يُنشئُ قرارًا، والقرارُ إذا تكررَ صارَ سلوكًا ثابتًا، والسلوكُ الثابتُ يُمهّدُ لتشكّلِ الهوية.

وبذلك نكونُ قد وصلنا إلى المرحلةِ السادسةِ والأخيرةِ من عملِ البيانِ في البنيةِ الإنسانيّةِ: بناءُ الهوية.

المبحث السّابع: البيانُ وبناءُ الهويّة

تمهيدٌ تأسيسيّ

إذا كانت العادةُ هي ترسيخُ الفعلِ في البنية السلوكيّة، فإنّ الهويّةُ هي ترسيخُ المعنى في البنية الوجوديّة. فليست الهويّةُ مجردَ توصيفٍ اجتماعيّ، بل هي صورةُ الإنسانِ عن نفسه، وموقعُهُ في الوجود، وتعريفُهُ لغايته ومآله.

ولا يكتفي القرآنُ بتقويمِ الأفعالِ، بل يُعيدُ تشكيلَ الإنسانِ من الداخلِ حتى يتلَوْنَ بصبغةٍ ثابتة. ومن هنا تتأسّسُ القاعدةُ البيانيّةُ التكوينيّةُ السادسة:

البيانُ حينَ يتراكمُ في الإدراكِ والعادة،
يتحوّلُ إلى صبغةٍ تُشكّلُ الهويّة.

أولاً: الصّبغةُ كتحوّلٍ وجوديّ

قال تعالى:

﴿صَبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ (البقرة: 138)

الصّبغة في أصلها تلوينٌ شاملٌ يُغيّر هيئَةَ الشيء من الداخل إلى الخارج. فالبيان القرآني لا يهدف إلى تعديل سلوكٍ جزئيٍّ، بل إلى صبغ الكيان كلّهُ بمعنى ربّانيّ.

فليست الهوية القرآنيّة ادّعاءً، بل نتيجة مسارٍ تكوينيٍّ طويلٍ:

بيانٌ

← إدراكٌ

← انفعالٌ

← دافعٌ

← قرارٌ

← عادةٌ

← صبغةٌ

ثانيًا: الهوية بوصفها استجابةً للذكر

قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنفال:

(2

هنا لا تُعرّف الهوية بالانتماء اللفظي، بل بنمط الاستجابة. فالإنسانُ

يُعرفُ بما يهتَزُّ له قلبه. فإذا كانَ الذكرُ يُحرِّكُه، فقد تشكّلت هويّتهُ على البيانِ.

ثالثاً: التحوّل من النسبِ إلى القيمة

يُعيدُ القرآنُ تعريفَ الانتماءِ:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: 13)

هنا لا تقومُ الهويةُ على العِرْقِ أو المالِ أو القوّةِ، بل على التقوى، وهي حالةٌ بيانيّةٌ مستقرّةٌ في القلبِ.

فالبيانُ يُحرّرُ الهويةَ من المعاييرِ العارضةِ، ويثبتُها على ميزانٍ ثابتٍ.

رابعاً: الأمةُ الوسطُ كنموذجٍ لهويّةٍ جماعيّةٍ

قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة: 143)

ليست الوسطيّةُ موقعاً جغرافياً، بل توازنٌ بيانيٌّ في الرؤيةِ والقيمِ. فكما يُعادُ تشكيلُ الفردِ، يُعادُ تشكيلُ الجماعةِ عبرَ البيانِ.

هنا الهويةُ الجماعيّةُ ثمرةُ اشتراكٍ في ميزانٍ واحدٍ.

خامسًا: الثباتُ على الهوية

قال تعالى :

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ (إبراهيم: 27)

القولُ الثابتُ هو البيانُ الراسخُ. والثباتُ هو نتيجةُ رسوخِ المعنى في الداخلِ حتى لا يتزعزعَ أمامَ التحدياتِ.

فليست الهويةُ صفةً لحظة الهدوء، بل ثباتًا لحظة الاختبارِ.

سادسًا: الانتماءُ إلى النور

قال تعالى :

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾

(البقرة: 257)

ليس الانتقالُ من الظلماتِ إلى النورِ حدثًا عابرًا، بل انتقالُ هويةٍ من حالةٍ إلى حالةٍ. فالإنسانُ إمّا منتهمٌ إلى النورِ، أو منجذبٌ إلى الظلمةِ.

والبيانُ هو الذي يُحدّدُ هذا الانتماءَ.

سابعًا: الهوية والمال

قال تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾

(العنكبوت: 57)

المال جزءٌ من تعريفِ الذاتِ. فالإنسانُ الذي يعيشُ بوعيِ الرجوعِ تتشكّلُ هويّتهُ على ميزانِ الحسابِ.

البيانُ يُدخلُ الآخرةَ في تعريفِ الحاضرِ، فيتكوّنُ وعيٌ وجوديٌّ شاملٌ.

ثامنًا: التحوّل من الفرديّة إلى الشهادة

قال تعالى:

﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة: 143)

ليست الهوية البيانيّة انغلاقًا ذاتيًا، بل مسؤوليّة شهادة. فالبيانُ الذي شكّل الفردَ يدفعه إلى تمثيلِ الميزانِ أمامَ العالمِ.

تاسعًا: الأنموذج الكلي لتكوّن الهوية

يمكنُ تلخيصُ المسارِ الكاملِ الآن:

نظريّة البيان كقوّة تكوينيّة شاملة - إعادة تنظيم البنية الإنسانيّة

بيانٌ منزّل

↓

إعادةُ تنظيم الإدراك (تعديل معنى)

↓

تهذيبُ الانفعال (تعديل تقييم)

↓

توجيهُ الدافعيّة (تعديل باعث)

↓

صناعةُ القرار (تعديل اختيار)

↓

تكرارٌ وصناعةُ عادة (تثبيت نمط)

↓

تشكّلُ الصبغة (تكوين هوية)

↓

هويّةٌ موزونةٌ على الميزان

وهذه الهوية هي التي يُعبّر عنها القرآن بلفظِ "المؤمنين" و"المتّقين"

و"المحسنين".

نظريّة البيانِ كقوّة تكويّنيّةٍ شاملةٍ - إعادة تنظيم البنية الإنسانية

هي سلسلة سببية تصاعدية وليست مجرد توصيفٍ أخلاقي .
وهي تمثل انتقالاً من :

المستوى المعرفي

إلى

المستوى الوجداني

إلى

المستوى الإرادي

إلى

المستوى السلوكي

إلى

المستوى البنيوي الهويّاتي

الخلاصةُ البنيويّةُ الشاملة

بهذا يكتملُ البناءُ التكوينيُّ للبيانِ في الإنسانِ . فالبيانُ يبدأُ بإعادةِ

نظريّة البيانِ كقوّة تكوينيّة شاملة - إعادة تنظيم البنية الإنسانية

ترتيب المعنى، ثمّ يعبرُ عبرَ الانفعالِ والدافع والقرارِ والعادة، حتى يصلَ إلى إعادة تشكيل الذاتِ نفسها.

ليست الهوية في القرآنِ لقبًا يُمنحُ، بل نتيجة مسارٍ بيانيٍّ طويلٍ يعيدُ بناءَ الإنسانِ طبقةً بعدَ طبقةٍ حتى يتّسقَ مع الميزانِ الذي وُضعَ في الكونِ.

المبحث الثامن: الأنموذج الكُلِّي لنظريّة البيان كقوّة تكوينيّة

تمهيدٌ تركيبِيّ

بعد أن تبينَ أنّ البيانَ في القرآنِ يُعيدُ تنظيمَ الإدراكِ، ويُهدِّبُ الانفعَالَ، ويوجِّهُ الدافعيّةَ، ويُهندسُ القرارَ، ويُنشِئُ العادةَ، ويُشكِّلُ الهويةَ، يصبحُ من الضروريِّ تركيبُ هذه الحلقاتِ في أنموذجٍ كَلِّيٍّ واحدٍ يُظهرُ كيفَ يعملُ البيانُ بوصفه منظومةً تكوينيّةً متكاملةً لا مراحلَ منفصلةً.

فالقرآنُ لا يُعالجُ الإنسانَ قطعةً قطعةً، بل يُعيدُ بناءَهُ بنيةً شاملةً على ميزانٍ واحدٍ.

أولاً: السلسلةُ التكوينيّةُ المتكاملة

يمكنُ تلخيصُ المسارِ القرآنيِّ للتحوّلِ الإنسانيِّ في السلسلةِ الآتية:

1. بيانٌ منزلٌ يكشفُ الحقيقةَ

2. إعادة ترتيب الخرائط الإدراكية
3. تعديل الشحنة الانفعالية
4. إعادة تعريف الغاية والقصد
5. ترجيح القرار على بينة
6. تكرار الفعل الموزون
7. ترسيخ العادة
8. تشكّل الصبغة
9. استقرار الهوية

ولا تسير هذه السلسلة في خطّ جامد، بل في حركة دائريّة تراكميّة؛ فكلّ مرحلة تُعزّز الأخرى.

ثانيًا: الميزان كإطار حاكم للنموذج

قال تعالى:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: 7)

الميزان هو الإطار المرجعي الذي تنتظم فيه جميع المراحل. فالبيان يُعيد إدخال الإنسان في هذا الميزان الكوني، حتى لا يطغى في الإدراك ولا في الانفعال ولا في القرار.

ومن هنا يمكن القول:

البيان هو الوسيط الذي يُنقل ميزان السماء إلى
ميزان النفس.

ثالثاً: من الظلمات إلى النور كنموذج تحويلي

قال تعالى:

﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة: 257)

ليس هذا الخروج انتقالاً مكانياً، بل تحوّل في البنية كلّها. فالظلمات

تمثّل:

- اختلال الإدراك
- اضطراب الانفعال
- انحراف الدافع
- سوء القرار
- اعتياد الخطأ
- هوية مشوّهة

والنور يمثّل العكس تماماً.

نظريّة البيان كقوّة تكوينيّة شاملة - إعادة تنظيم البنية الإنسانية

إذن البيان هو آليّة التحول من بنية مختلّة إلى بنية موزونة.

رابعاً: التدرّج في البناء التكويني

يعتمد القرآن التدرّج في التكوين؛ فالتحريم لم يأت دفعةً واحدةً، والتشريعات نزلت متتابعةً. وهذا يدلُّ على أنّ إعادة بناء الإنسان عمليةٌ مرحليّةٌ.

قال تعالى:

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾

(الإسراء: 106)

المكث هنا عنصرٌ تكوينيٌّ؛ فالبناء يحتاج إلى زمنٍ، حتى يتشكّل الداخلُ ببطءٍ وثباتٍ.

خامساً: الفرق بين الإنسان البياني والإنسان المعرض عن البيان

يُقدّم القرآن صورتين متقابلتين:

1. الإنسان الذي استجاب للبيان

﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ (البقرة: 5)

هنا نرى:

نظريّة البيان كقوّة تكوينيّة شاملة - إعادة تنظيم البنية الإنسانية

- إدراكًا واضحًا
- قلبًا مطمئنًا
- دافعًا مخلصًا
- قرارًا مسؤولًا
- عادةً مستقيمةً
- هويةً ثابتةً

2. الإنسان المعرض

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾
(طه: 124)

هنا نرى:

- اضطرابًا إدراكيًا
- قلقًا انفعاليًا
- دافعًا محدودًا
- قرارًا متخبطًا
- عادةً فاسدةً
- هويةً متفككةً

نظريّة البيان كقوّة تكوينيّة شاملة - إعادة تنظيم البنية الإنسانية

فليس الفرق في الذكاء أو القدرة، بل في علاقة الإنسان بالبيان.

سادسًا: الوظيفة الحضاريّة للنموذج

لا يتوقّف الأنموذج عند الفرد، بل يمتدُّ إلى الجماعة. فإذا تشكّلت الهوية البانيّة في الأفراد، نشأ مجتمعٌ موزونٌ.

قال تعالى:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: 110)

الخيريّة هنا نتيجة إقامة الميزان في الداخل والخارج معًا.

سابعًا: الأنموذج الهندسيّ النظريّ

يمكن صياغة الأنموذج في صورة دائرة تكوينيّة:

بيان

← إدراك

← انفعال

← دافع

← قرار

← عادة

نظريّة البيان كقوّة تكويّنيّة شاملة - إعادة تنظيم البنية الإنسانية

← هويّة

← شهادة حضاريّة

← عودة إلى بيان أعمق

فكلّما تعمّق البيان، تعمّق البناء.

ثامناً: مركز الثقل في الأنموذج

ليس مركز الثقل القرار ولا العادة، بل المعنى. فإذا اختلّ المعنى اختلّ كلّ ما بعده. ولهذا يركّز القرآن على تصحيح التصوّر قبل إصلاح السلوك.

تاسعاً: الخلاصة الكبرى

يمكن الآن صياغة الأطروحة في صورتها الكاملة:

ليس البيان في القرآن نقل معلومات، بل آليّة إعادة تشكيل شامل للإنسان. إنه يُعيد بناء الإدراك على ميزان الحق، ويهذب الانفعال، ويوجّه الدافعيّة نحو الغاية الربانيّة، ويهندس القرار على بينة، ويحوّل الفعل إلى عادة، ويصبغ الكيان بهويّة موزونة، حتى يصبح الإنسان شاهداً على الحق في الأرض.

وهذا هو المعنى العميق لقوله تعالى:

نظريّة البيانِ كقوّة تكويّنيّةٍ شاملةٍ - إعادة تنظيم البنية الإنسانية

﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾

(آل عمران: 138)

فالبيانُ هدايةٌ لأنّه يعيدُ التوجيهَ، وموعظةٌ لأنّه يعيدُ التذكيرَ، وميزانٌ لأنّه يعيدُ التوازنَ.

المبحث التاسع: التّطبيقات الحضاريّة لنظريّة البيان كقوّة تكوينيّة

تمهيدٌ انتقاليّ

إذا ثبت أنّ البيانَ في القرآن يُعيدُ تشكيلَ الإنسانِ في بنيته الإدراكيّة والانفعاليّة والدافعيّة والسلوكيّة والهويّاتيّة، فليست الخطوة التالية مجردَ استكمالٍ نظريّ، بل انتقالٌ من التكوينِ الفرديّ إلى البناءِ الحضاريّ. فلا يهدفُ القرآنُ إلى إنسانٍ موزونٍ في ذاته فقط، بل إلى إقامةِ ميزانٍ في الأرضِ.

قال تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ
لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: 25)

فليست البيّناتُ والكتّابُ والميزانُ أدواتِ معرفةٍ فقط، بل أدواتُ إقامةٍ حضاريّةٍ. ومن هنا تتأسّسُ القاعدةُ البيانيّةُ التكوينيّةُ السابعة:

حين يستقرُّ البيانُ في الفردِ يتحوّلُ إلى نظامٍ يُعيدُ تنظيمَ المجتمعِ وال عمرانِ.

أولاً: إصلاحُ الفردِ بوصفه نواةَ العمرانِ

قال تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾
(الرعد : 11)

يبدأُ التغييرُ الحضاريُّ من الداخلِ. فإذا أُعيدَ تنظيمُ الإدراكِ والانفعالِ والدافعِ في الفردِ، تكوّنت نواةٌ توازنُ تنتشرُ في المجتمعِ. فليس البيانُ هنا خطاباً أخلاقياً، بل آليّةٌ تحويلٍ داخليٍّ تُفضي إلى أثرٍ اجتماعيٍّ.

ثانياً: إصلاحُ الأسرةِ عبرَ ميزانِ البيانِ

الأسرةُ أوّلُ وحدةٍ حضاريّةٍ. والقرآنُ يُعيدُ تنظيمَها بالبيانِ :

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء : 19)

المعروفُ قيمةٌ بيانيّةٌ تُعيدُ تعريفَ العلاقةِ بين القوّةِ والرحمةِ. فإذا

نظريّة البيان كقوّة تكويّنيّة شاملة - إعادة تنظيم البنية الإنسانيّة

استقرّ هذا الميزانُ في البيتِ، نشأ جيلٌ موزونٌ الإدراكِ والانفعالِ.

ثالثاً: السوقُ والعدلُ الاقتصاديّ

قال تعالى:

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ (الأنعام: 152)

ينتقلُ الميزانُ هنا من الداخلِ إلى المعاملة. فالتاجرُ الذي تشكّلت هويّتهُ على البيانِ لا يحتاجُ إلى رقابةٍ خارجيّةٍ صارمةٍ؛ لأنّ الميزانَ قد استقرّ في قلبه.

وهكذا يتحوّلُ البيانُ إلى نظامٍ اقتصاديّ قائمٍ على القسطِ.

رابعاً: السلطةُ والشورى

قال تعالى:

﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: 38)

ليست الشورى إجراءً شكلياً، بل امتدادٌ للقرارِ البيانيّ على المستوى الجماعيّ. فحين يُعادُ تعريفُ الغايةِ والعدلِ في الوعيِ الجمعيّ، تُصبحُ السلطةُ خادمةً للميزانِ لا أداةً طغيانٍ.

خامساً: الإعلام وصناعة المعنى

يُحذّر القرآن من نشر الظنّ والإشاعة:

﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات: 6)

التبيين فعلٌ بيانيٌّ يحفظُ المجتمعَ من الفوضى الإدراكيّة. فالإعلامُ المنفصلُ عن البيانِ يُنتجُ انفعالاً جماعياً مضطرباً، بينما الإعلامُ الموزونُ يُثبّتُ الاستقرار.

سادساً: القضاء وإقامة القسط

قال تعالى:

﴿إِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾

(النساء: 58)

العدلُ ثمرةٌ ميزانٍ إدراكيٍّ وانفعاليٍّ متكاملٍ. فالقاضي الذي تشكّلت هويّتهُ على البيانِ يُقيمُ القسطَ لا بدافع السلطة بل بدافع الحقّ.

سابعاً: العلم والمعرفة

قال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

(الزمر: 9)

ليس العلمُ في السياقِ القرآنيّ تراكمَ معلوماتٍ، بل إدراكٌ موزونٌ على البيانِ. فالحضارةُ التي يُعادُ فيها تعريفُ العلمِ ضمنَ الميزانِ تنتجُ معرفةً خادمةً للحقِّ، لا أداةً للهيمنة.

ثامناً: الأمنُ والسّلمُ الاجتماعيّ

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً﴾ (البقرة: 208)

السّلمُ نتيجةُ استقرارِ الميزانِ في الداخلِ. فالعنْفُ غالباً ما ينشأ من اضطرابِ إدراكيٍّ وانفعاليٍّ. وعندما يُعادُ بناءُ المعنى، يهدأ الصراعُ.

تاسعاً: الشهادةُ الحضاريّةُ

قال تعالى:

﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة: 143)

ليست الشهادةُ خطاباً دعويّاً فقط، بل أنموذجاً حضاريّاً يُجسّدُ

الميزان عمليًا. فالإنسان البياني لا يكتفي بالاتّساق الداخلي، بل يُجسّد هذا الاتّساق في مؤسّساته ومعاملاته.

عاشراً: الأنموذج الحضاري المتكامل

يمكن تمثيل الامتداد الحضاري لنظريّة البيان كالآتي:

بيانٌ يُعيدُ بناء الفردِ



فردٌ موزونٌ



أسرةٌ مستقرّةٌ



سوقٌ عادلٌ



سلطةٌ شورويّةٌ



قضاءٌ قائمٌ بالقسط



مجتمعٌ متوازنٌ

نظريّة البيان كقوّة تكوينيّة شاملة - إعادة تنظيم البنية الإنسانية

↓

شهادة حضاريّة

وهذا يحقق الغاية الكبرى:

﴿لَيَقُومَنَّ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: 25)

الخلاصة الحضاريّة

يتبيّن أنّ البيان ليس مشروع إصلاحٍ فرديٍّ معزولٍ، بل منظومةٌ بناءٍ حضاريٍّ شاملٍ. فهو يبدأ من تصحيح المعنى في القلب، وينتهي بإقامة العدل في الأرض. وبين البداية والنهاية تتشكّل شبكةٌ مترابطةٌ من القيم والقرارات والعادات والمؤسّسات.

فليس البيان في القرآن مادّةً لغويّةً فحسب، بل قوّةٌ تكوينيّةٌ تُعيدُ تنظيم الإنسان، ثم تُعيدُ عبره تنظيم العالم.

المبحثُ الختاميُّ التأسيسيُّ : نظريّةُ البيانِ كقوّةٍ تكوينيّةٍ شاملةٍ

مقدمةٌ جامعةٌ

تبيّنَ عبرَ المسارِ السابقِ أنَّ البيانَ في القرآنِ ليسَ حيّزًا لغويًّا محدودًا، ولا صناعةً تعبيريةً مستقلةً عن البناءِ الإنسانيِّ، بل هو عنصرٌ تأسيسيٌّ في هندسةِ الإنسانِ وجودًا وسلوكًا وعمرانًا. ومن هنا يُعادُ تحريرُ الأطروحةِ في صيغتها الجامعة:

البيانُ في القرآنِ آليّةٌ إلهيّةٌ لإعادةِ تنظيمِ الإنسانِ على ميزانِ الحقِّ، بدءًا من الإدراكِ وانتهاءً بإقامةِ القسطِ في الأرضِ.

أولاً: الجذرُ التكوينيُّ للبيان

ينطلقُ البناءُ من النصِّ المؤسّس:

﴿الرَّحْمَنُ • عَلَّمَ الْقُرْآنَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ • عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾

(الرحمن: 4-1)

يتّضح من هذا النسق أنّ البيان مرتبطٌ بالخلق لا بالثقافة فقط.
فالإنسانُ خلقٌ مزودٌ بقدرّةٍ بيانيّةٍ تمكّنه من إدراكِ الميزانِ الذي وُضع في
الكون:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: 7)

فالبيانُ هو الوسيطُ الذي ينقلُ ميزانَ السماءِ إلى ميزانِ النفسِ.

ثانيًا: البنية التحويليّة للبيان

يعملُ البيانُ وفق حركةٍ تحويليّةٍ متدرّجةٍ:

1. إعادة تنظيم الإدراك

يكشفُ القرآنُ أنّ العمى ليس بصريًّا بل قلبيًّا:

﴿وَلَكِنْ تَعْمَى أَلْقُلُوبُ﴾ (الحج: 46)

فالبيانُ يعيدُ ترتيبَ المفاهيم، ويصحّحُ سلّمَ القيم، ويدخلُ المآلَ في
الحسابِ اللحظيّ.

2. تهذيب الانفعال

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28)

يعيدُ الذكرُ - بوصفه بياناً متكرّراً - توزيعَ الطاقة الانفعاليّة، فيحوّلُ الخوفَ إلى خشيةٍ، والحزنَ إلى صبرٍ، والغضبَ إلى عدلٍ.

3. إعادة توجيه الدافعيّة

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

(الذاريات: 56)

يُخرجُ البيانُ الدافعَ من مركزِ الذاتِ إلى مركزِ الحقِّ، فيتحوّلُ السعيُّ من منفعةٍ آنيّةٍ إلى قصدٍ ربّانيٍّ.

4. صناعةُ القرارِ

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال: 42)

القرارُ الموزونُ هو ثمرةُ إدراكٍ صحيحٍ ودافعٍ مستقيمٍ. والبيانُ يُدخلُ العاقبةَ في عمليةَ الترجيحِ.

5. صناعةُ العادة

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ (العنكبوت: 45)

يُحوّل التكرارُ البيانيّ القرارَ إلى نمطٍ ثابتٍ، ويُرسّخُ الفعلَ في البنية السلوكيّة.

6. تشكّل الهوية

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ (البقرة: 138)

حين يتراكمُ البيانُ في الداخلِ، يتحوّلُ إلى صبغةٍ وجوديّةٍ تُعرّفُ الذاتَ تعريفًا جديدًا.

ثالثًا: من التكوينِ الفرديّ إلى البناءِ الحضاريّ

لا يقفُ البيانُ عند الفردِ، بل يمتدُّ إلى الجماعةِ:

﴿لَيَقُومَنَّ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: 25)

فالإنسانُ البيانيّ يُنشئُ أسرةً موزونةً، وسوقًا عادلةً، وسلطةً شورويّةً، ومجتمعًا قائمًا على الميزانِ. وهكذا يتحوّلُ البيانُ من قوّةٍ داخليةٍ إلى نظامٍ حضاريّ.

رابعاً: الفرق بين الإنسان البياني والإنسان المعرض عن البيان

الإنسان البياني:

- إدراكٌ واضحٌ
- انفعالٌ متّزنٌ
- دافعٌ مخلصٌ
- قرارٌ مسؤولٌ
- عادةٌ مستقيمةٌ
- هويّةٌ ثابتةٌ

الإنسان المعرض:

- اضطرابٌ إدراكيٌّ
- قلقٌ انفعاليٌّ
- دافعٌ محدودٌ
- قرارٌ متخبّطٌ
- عادةٌ فاسدةٌ
- هويّةٌ متفكّكةٌ

والفرق بينهما علاقةٌ كلّ منهما بالبيان.

خامساً: النموذج التكويني لمنظومة البيان

بيانٌ منزلٌ



إعادةُ تشكيلِ المعنى



إعادةُ ضبطِ التقييم



تعديلُ الشحنةِ الانفعاليّةِ



تحويلُ اتجاهِ الإرادةِ



اتخاذُ قرارٍ موزونٍ



تكرارُ سلوكيٍّ تحت إشرافِ البيان



ترسيخُ نمطٍ ثابتٍ



تشكّلُ صبغةٍ داخليةٍ



قيامُ هويةٍ موزونةٍ على الميزان

سادسًا: الصياغةُ النظريةُ الجامعةُ

يمكنُ إعادةُ صياغةِ النظريةِ في صورتها المفهوميّةِ النهائيةِ كالآتي:

1. البيانُ أصلُ تكوينيّ في بنية الإنسان.
2. البيانُ يُعيدُ تنظيمَ المعنى قبلَ السلوك.
3. انتظامُ المعنى يُنتجُ انتظامًا انفعاليًّا.
4. انتظامُ الانفعالِ يُوجِّهُ الدافعَ.
5. انتظامُ الدافعِ يُثمرُ قرارًا موزونًا.
6. تكرارُ القرارِ يُنشئُ عادةً.
7. تراكمُ العادةِ يُنتجُ هويةً.
8. الهويةُ الموزونةُ تُقيمُ القسطَ في الأرضِ.

وهذا هو الامتدادُ الكاملُ للبيانِ من النصِّ إلى الحضارةِ.

سابعًا: ما الذي يميّزُ هذه السلسلةَ عن أي نموذجٍ نفسي حديثٍ؟

1. البداية ليست من الداخل، بل من بيانٍ منزّلٍ.

نظريّة البيان كقوّة تكوينيّة شاملة - إعادة تنظيم البنية الإنسانية

2. المعيار ليس النفع، بل الميزان.
3. الغاية ليست التكيّف، بل القسط.
4. الهوية ليست سرّداً ذاتياً، بل صبغة مرجعية.

ثامناً: الآيّة الجامعة للنموذج

يمكنُ اعتبارُ قوله تعالى:

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾

(آل عمران: 138)

آية جامعة للنظرية كلّها؛ فالبيان هو الإظهار، والهدى هو إعادة التوجيه، والموعظة هي إعادة التذكير، والتقوى هي الثمرة البنيويّة لهذا المسار.

خاتمة كبرى

يتبيّن من هذا التحرير النهائي أنّ البيان في القرآن ليس مادّة لغويّة فحسب، بل قوّة تكوينيّة تعملُ على إعادة تنظيم:

الإدراك

والانفعال

والدافعيّة

والقرار

والعادة

والهويّة

حتى يتشكّل الإنسانُ على ميزانِ الحقِّ، ويصيرَ قادرًا على إقامةِ
القسطِ في الأرضِ.

وبذلكَ يكتملُ البناءُ النظريُّ لنظريّةِ البيانِ كقوّةٍ تكوينيّةٍ شاملةٍ،
بوصفِها ركيزةً تأسيسيّةً في منطقِ البيانِ، ولبنةً أولى في بناءِ علمِ قرآنيٍّ يعيدُ
وصلَ اللغةِ بالوجودِ، والمعنى بالعمرانِ، والنصَّ بالحياةِ.

خاتمة تأسيسية وجسر نحو العلوم الأخرى

بهذا يتضح أنّ البحث في «نظرية البيان كقوة تكوينية» لم يكن مجرد تحليل لمفهوم قرآنيّ أو إعادة ترتيب لطبقات التأويل، بل كان محاولة لإعادة توجيه البوصلة المعرفية برمتها نحو مركز طال إغفاله: البيان بوصفه فعلاً مُشكّلاً للإنسان قبل أن يكون خطاباً موجّهاً إليه.

لقد سعى هذا البحث إلى الكشف عن أنّ القرآن لا يُخاطب الإنسان ليُعلّمه معلومة، بل ليُعيد بناءه، ولا يُقدّم معنىً فحسب، بل يُقيم ميزاناً داخلياً يُعاد به ترتيب الإدراك والانفعال والدافعية والقرار والعادة والهوية.

ومن هنا فإنّ القيمة الحقيقية لهذا العمل لا تقف عند حدود نتائجه الجزئية، بل تتمثل في النقلة الأنموذجية التي يعدّها بها في الفكر الإسلامي المعاصر. إذ يُخرجنا من عنق الزجاجة الفكرية الذي انحصرت فيه الدراسات بين بلاغة لغوية مجردة أو تنظير فقهيّ تقنيّ أو معالجة وعظية أخلاقية، إلى أفقٍ أوسع يرى في البيان منظومة تكوينية شاملة، وفي اللسان العربيّ المبين جهازاً إدراكياً حيّاً، وفي موازين البيان نظاماً ضابطاً للحكم والفهم والعمران.

تفتّح هذه الرؤية باباً لإعادة النظر في موقع اللسان العربيّ المبين في البناء المعرفيّ؛ فلا يُختزل في كونه أداة تعبيرٍ أو وعاء معاني، بل يُفهم بوصفه بنية إدراكيّة تُشكّل طريقة الرؤية ذاتها، وتضبط العلاقات بين المفاهيم، وتقيم التوازن بين الحسّ والقلب والعقل. كما تُعيد قراءة موازين البيان لا بوصفها مقاييس بلاغيّة أو أخلاقيّة فحسب، بل بوصفها أطراً معرفيّة عميقة تُنظّم عمليّة الفرز والتمييز والترجيح، وتُعيد ترتيب العالم في وعي الإنسان.

ومن هنا يغدو هذا البحث جسراً طبيعياً نحو العلوم الأخرى؛ إذ إنّ ما تقرّر فيه من كون البيان قوة تكوينيّة يقتضي أن يُعاد بناء عددٍ من الحقول العلميّة في ضوء هذه الحقيقة. فعلم اللسان العربيّ المبين يحتاج إلى أن يُقرأ قراءة إدراكيّة تكوينيّة تكشف كيف يُنشئ اللسان أنماطاً خاصّة من الرؤية والحكم. والمنطق العربيّ المبين والمنطق القرآنيّ المبين يمكن أن يُعاد تأسيسهما باعتبارهما تعبيراً عن موازين بيانيّة تُنظّم عمليّة الاستدلال لا في المستوى الصوريّ فحسب، بل في مستوى الاتساق الوجوديّ مع الحقّ والميزان.

كما أنّ علم أصول الفقه وعلم التفسير مدعوان إلى الانفتاح على هذا البعد التكوينيّ؛ بحيث لا يكون البحث في الدلالة والحكم معزولاً عن دراسة أثر البيان في تكوين المكلف نفسه. ويمكن أن تجد العلوم الاجتماعيّة

والإنسانيّة في هذا الأنموذج إطاراً لفهم السلوك والهوية والتحوّل الحضاريّ انطلاقاً من إعادة تشكيل البنية الإدراكيّة عبر البيان.

لا يتحقّق الخروج من عنق الزجاجة الفكرية بتكديس المناهج أو استيراد النماذج، بل بإعادة اكتشاف مركز التكوين في الوحي، وبإعادة قراءة اللسان العربيّ المبين وموازن البيان قراءة إدراكيّة عميقة تكشف طاقتهما في إعادة تشكيل الإنسان والعمران. ولا يدّعي هذا البحث أنّه أنجز هذا المشروع كلّهُ، بل يقدّم لبنة تأسيسيّة تُمهّد لمسارٍ أوسع، يُعيد وصل البيان بالميزان، واللسان بالتكوين، والوحي بالحياة.

وبذلك يكون ما قدّم هنا خاتمةً من جهة العرض، وبدايةً من جهة المسار؛ إذ ينتقل البحث من تقرير «البيان كقوّة تكوينيّة» إلى استكشاف كيفية تفعيل هذه القوّة في بناء العلوم، وفي تجديد الفكر الإسلاميّ، وفي تأسيس أفق حضاريّ جديد يرى في البيان ميزاناً، وفي الميزان طريقاً إلى الحقّ والعمران.

البيان والميزان: نظرية قرآنية في إعادة تكوين الإنسان

ليست الأزمة في الإنسان المعاصر فقدان المعرفة، بل اختلال الميزان.

وليست المشكلة في كثرة الخطاب، بل في غياب البيان الذي يُعيد ترتيب الداخلي.

في هذا الكتاب تُطرح أطروحة تأسيسية جريئة:

ليس البيان القرآني خطاباً يُفهم فحسب، بل قوة تكوينية تُعيد بناء الإنسان من جذوره؛ تُصحح الإدراك، وتُهدب الانفعال، وتُوجه الدافعية، وترشد القرار، حتى تتشكل الصبغة وتستقيم الهوية على ميزان الحق.

إنَّه انتقالٌ من قراءة النص بوصفه معلومةً، إلى فهمه بوصفه آلية إقامة الميزان في النفس والمجتمع.

ومن تحليل المعنى إلى دراسة أثر البيان في صناعة الإنسان.

ليس «البيان والميزان» كتاباً في البلاغة، ولا في الوعظ، بل مدخلٌ إلى نظرية قرآنية متكاملة في إعادة تكوين الإنسان، تمهيدٌ لأفقٍ جديدٍ في الفكر والتربية والإصلاح الحضاري.

حين يُقام الميزان في الداخل...
يستقيم العمران في الخارج.